الموسم

مجلة فصلية مُصوّرة تعنى بالآثار والتراث

العدد الثامن – السنة الثانية 1990

الغدير

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

مؤسس
أكاديمية الكوفة
هولندة

مركز الغدير للدراسات الإسلامية

کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی
شماره ثبت
تاریخ

المراسلات
KUFA ACADEMY
POSTBUS 1113
3260 AC OUD - BEYERLAND
NEDERLAND
www.almawsem.net
www.shiaparliament.com

Shiabooks.net

دائرة المعارف الهندية

اخبار الصين والهند

تاليف
سليمان التاجر و ابي زيد الحسن السيرافي

تحقيق وتحليل
الكتاب الثاني ابراهيم خوري

[١١ ـ الكتاب الأول يحوي ، حسب ابي زيد ، الحقيقة والصدق ما عدا طعام الموتى]

قال أبو زيد الحسنُ السيرافي : إنّي نظرتُ في هذا الكتابِ ، يعني الكتابَ الأولَ ، الذي أُمِرْتُ بتأمُّلِهِ وإثباتِ ما وقفتُ عليهِ من أمرِ البَحْرِ ومُلوكِهِ وأحوالِهِمْ ، وما عرفتُهُ من أحاديثِهِمْ ، مِمّا لم يدخلْ فيهِ ، فوجدتُ تاريخَ الكتابِ في سنةِ سبعٍ وثلاثينَ ومايتين ، وأمورُ البَحْرِ في ذلك الوقتِ مستقيمةٌ ، لكثرةِ اختلافِ التجّارِ اليها من العراقِ . ووجدتُ جميعَ ما حُكِيَ في الكتابِ على سبيلِ حقٍّ وصِدْقٍ ، إلّا ما ذُكِرَ فيهِ عَنِ الطعامِ الذي يُقدِّمُهُ أهلُ الصينِ الى الموتى منهم ، وأنّهُ إذا وُضِعَ بالليلِ عندَ الميتِ ، أصبحوا فلَمْ يُوجَدْ ، وادّعوا أنّهُ يأكلُهُ . فقد كانَ بَلَغَنَا هذا ، حتى وردَ علينا منْ ناحيتهمْ مَنْ وَثِقْنَا بِخَبَرِهِ ، فسألناهُ عن ذلك ، فأنكرهُ ، وقالَ هي دعوى لا أصلَ لها كدعوى أهلِ الأوثانِ انّها تكلّمُهُمْ .

[١٢ ـ سيطرة ثورة سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م في الصين وتبدل أحوالها]

وقد تغيَّرَ بعدَ هذا التاريخِ أمرُ الصينِ خاصّةً ، وحدثَتْ فيها[٥٩] حوادثُ ، انقطعَ لها الجهازُ اليهمْ ، وخَرِبَ البلدُ ، وزالَتْ رسومُهُ ، وتفرّقَ أمرُهُ . وانا اشرحُ ما وقفتُ عليه منَ السببِ في ذلك، إنْ شاءَ الله .

---

(٥٩) الأصل : فيه .

السببُ في تغيُّرِ أمرِ الصينِ عمَّا كانَ عليهِ منَ الأحكامِ والعدلِ وانقطاعِ الجهازِ اليهِ من سيراف ، أنْ نابغاً نَبَغَ فيهم من غير بيتِ الملك ، يُعْرَفُ بيان شو[٦٠] . وكانَ مبتدأُ أمرِهِ الشطارةَ والفتوَّةَ وحملَ السلاحِ والعيثَ واجتماعَ السفهاءِ اليه ، حتى اشتدَّتْ شوكتُهُ ، وكثُرَ عددُهُ ، واستحكمَ طَمَعُهُ .

فقصدَ خانفو[٦١] من بينِ مُدنِ الصين ، وهي المدينةُ التي يقصدُها تجار العرب ، وبينها وبينَ البحرِ مسيرةُ أيامٍ يسيرةٍ . وهي على وادٍ عظيمٍ ، وماءٍ عَذْبٍ . فامتنعَ أهلُها عليه ، فحاصَرَهُمْ مدَّةً طويلةً ، وذلكَ في سنةِ أربعٍ وستينَ ومايتين ، الى أنْ ظفرَ بها . فوضعَ السيفَ في أهلِها . فذكرَ أهلُ الخبرةِ بأمورهم أنَّهُ قُتِلَ من المسلمين واليهودِ والنصارى والمجوسِ ، سوى مَنْ قتلَ من أهلِ الصينِ ، مايةٌ وعشرين[٦٢] الف رجل ، كانوا تبوءوا بهذه المدينةِ ، فصاروا بها تجاراً . وإنَّما عُرِفَ مقدارُ عَدَدِ هذه المِلَلِ الأربعِ ، لتحصيلِ أهْلِ الصينِ بعددِهِمْ . وقَطَعَ ما كانَ فيهِ من شجرِ التوتِ[٦٣] وسايرِ الأشجارِ . وذكرنا شجرَ التوتِ[٦٣] خصوصاً لإعدادِ أهلِ الصينِ وَرَقَهُ لِدُودِ القزِّ حتى يَفْقِدَ الدودُ . فصارَ سبباً لانقطاعِ الحريرِ خاصَّةً عن بلادِ العربِ .

ثم قصدَ بعدَ تخريبِ خانفو الى بلدٍ بلدٍ ، فأخربهُ ، وعجزَ ملكُ الصينِ عَنْهُ الى أنْ قاربَ مدينةَ المَلِكِ ، وتُعْرَفُ بخمدان . * فهربَ الملكُ منه الى مدينةٍ بمَذُوهْ ، المتاخمةِ لبلادِ التُّبُتِ . فأقامَ بها ، ودامَتْ أيامُ هذا النابغِ ، وعظُمَ شأنُهُ ، وكانَ قصدُهُ وكَدُّهُ خرابَ المدنِ وقتلَ أهْلِها ، إذْ لم يكُنْ من بيتِ مَلِكٍ ومَنْ يطمع في اتساقِ الأمرِ لهُ . فبلغَ من ذلك مبلغاً ، فسدَّ بهِ أمرُ الصينِ الى وقتنا هذا .

[١٣ ـ قضاء ملك التغزغز على ثورة يانشو والتعدي على نواخذة العرب وارباب المراكب والتجار]

ولم تَزَلْ تلكَ حالُ هذا النابغِ الى أنْ كَتَبَ ملكُ الصينِ الى مَلِكِ التغزغزِ من بلادِ التركِ وبينَهُمْ مجاورةٌ ومصاهرةٌ . ووجَّهَ اليهِ رسلاً يسألُهُ كشفَ هذا الرجلِ عَنْهُ . فانفذَ ملكُ التغزغزِ اتباً لهُ الى هذا النابغِ في عددٍ كثيرٍ وجموعٍ وافرةٍ ، فأزالَهُ بعدَ حروبٍ مُتَّصلةٍ ، ووقايعَ عظيمةٍ .

---

(٦٠) الأصل : بيابشوا .

(٦١) الأصل : حانفوا .

(٦٢) الأصل : عشرون .

(٦٣) الأصل : التوث .

فزعمَ قومٌ أنَّهُ قُتِلَ ، وزعمَ آخرونَ أنَّهُ ماتَ . وعادَ ملكُ الصينِ الى بلدِهِ المعروفِ بخمدان . وقد أخربَهُ عليهِ ، وعلى سبيلِ ضعفٍ في نفسهِ ، ونَقْصٍ في أموالِهِ ، وهلاكِ قوّادِهِ ، وصناديدِ رجالِهِ وكُفَاتِهِ . وغَلَبَ مع ذلك على كلِّ ناحيةٍ متغلِّبٌ منعَ من أموالِها وتمسَّكَ بها في يدِهِ منها . فدعَتْ ملكَ الصينِ الضرورةُ ، لقصورِ يدِهِ ، الى قبولِ العفوِ منهم بإظهارِ الطاعةِ والدعا لهُ ، دونَ السمعِ والطاعةِ في الأموالِ وما كانَ من الملوكِ ينفذُ فيهِ . فصارَتْ بلادُ الصينِ على سبيلِ ما جَرتْ عليهِ أحوالُ الأكاسرةِ عندَ قتلِ الإسكندرِ لدارا الكبيرِ ، وقسمتِهِ أرضَ فارسَ على ملوكِ الطوايفِ . وصارَ بعضُهم يعضدُ بعضاً للمغالبةِ بغيرِ إذنِ الملكِ ولا أمرِهِ . فإذا أناخَ القويُّ منهم على الضعيفِ ، تغلَّبَ على بلادِهِ ، واجتاحَ ما فيهِ ، وأكلَ ناسَهُ كلَّهُمْ . وذلك مباحٌ لهم في شريعتِهِمْ ، ولأنَّهم يتبايعونَ لحومَ الناسِ في أسواقِهِمْ . وامتدَّتْ أيديهِمْ مع ذلك الى ظُلمِ من قصدَهُمْ من التجارِ . ولمّا حدثَ هذا فيهم ، التأمَ اليهِ ظهورُ الظلمِ والتعدي في نواحذِ العرب وأرباب المراكبِ . فالزموا التجارَ ما لا يجبُ عليهم ، وغلبوهُمْ على أموالِهم ، واستجازوا ما لم يَجْرِ الرسمُ به قديماً في شيء من أفعالِهم . فنزعَ الله ، جلَّ ذكرُهُ ، البركاتِ منهُمْ جميعاً ، ومنعَ البحرُ جانبَهُ ، ووقعَ الفنا بالمقدارِ الجاري من المُدَبِّرِ ، تباركَ اسمُه ، في الربابنةِ والأدلاّءِ بسيرافَ وعمان .

[١٤ ـ قتل الزاني والبغاء في الصين]

وذَكَرَ في الكتابِ طرفا من سنن أهل الصين . ولم يذكر غيرهُ . وهو سبيلُ المحصَنِ والمحصَنة عندَهُمْ ، إذا زنيا ، القتلُ . وكذلك اللصُّ والقاتلُ . وسبيلُهُمْ في القتلِ أن تُشد يدا من يريدون قتلهُ وثيقاء، ثم تُطَرحُ في رأسِهِ حتى يصير على عُنُقِهِ . ثم تُدخَلُ رجلهُ اليمنى فيما ينفذُ من يدِهِ اليمنى ، ورجلهُ اليسرى فيما ينفذُ من يدِهِ اليسرى ، فتصيرُ قدماهُ جميعاً من ورائِهِ ، ويتقبضُ ، ويبقى كالكرةِ لا حيلةَ لهُ في نفسهِ . ويستغني عن ممسك يمسكه . وعندَ ذلك تزولُ عنقُهُ عن مركبِها وتتزايلُ خرزات ظهرِهِ عن بطنِها، وتختلفُ وركاهُ ، ويتداخلُ بعضهُ في بعض . وتضيقُ نفسهُ شيءٌ . ويصبرُ في حالٍ ، لو تركَ على ما هو به بعضَ ساعة ، لتلفَ . فإذا بلغَ منه ، ضربَ بخشبةٍ لهم معروفةٍ على مقاتلِهِ ضرباتٍ معروفةٍ ، لا تتجاوزُ . فليسَ دونَ نفسهِ . ثم يدفعُ الى مَنْ يأكلُهُ.

وفيهم نساءٌ لا يردنَ الإحصانَ ، ويرغبنَ في الزنا . وسبيلُ هذا أنْ تحضرَ مجلسَ صاحبِ الشرط ، فتذكرُ زهدَها في الإحصان ، ورغبتها في الدخولِ في جملةِ الزواني . وتسألُ حملها على الرسمِ في مثلِها ومنْ رسمهمْ فيمن أرادَ ذلك من النساء ، أنْ تكتبَ نسبَها وحليتَها وموضعَ منزلَها ، وتُثبتَ في ديوانِ الزواني ، ويُجعلَ في عُنُقِها خيطٌ فيهِ خاتَم من نحاسٍ مطبوعٍ بخاتمِ

الملكِ ، ويُدْفَعُ اليها منشور ، يذكر فيه دخولَها في جملةِ الزواني ، وأنَ عليها لبيت المالِ في كلِّ سنةٍ كذا وكذا فلساً ، وأنَّ منْ تزوجَها ، فعليه ، القتلُ . فتودي في كل سنةٍ ما عليها ، ويزول الإنكارُ عنها . فهذه الطبقةُ من النساءِ يرحنَ بالعشيات عليهنَّ ألوانُ الثيابِ من غير استارٍ . فيصرن الى من طَرَأ[٦٤] الى تلك البلادِ منَ الغرباءِ من أهل الفسقِ والفسادِ واهل الصين . فيقمنَ عندهم وينصرفن بالغدوات . ونحنُ نحمدُ الله على ماطهرنا بهِ من هذه الفتنِ .

[١٥ ـ عملة الصين وبيوتها وخدم ملوكها ومهارة الصينيين في النقش والصناعة]

وأمّا تعامُلُهمْ بالفلوس، فالسبب فيه إنكارهُمْ على المتعاملينَ بالدنانير والدراهمِ ، أنَّ لصاً لودخلَ منزلَ رجلٍ من العربِ المتعاملين بالدنانير والدراهم ، لتهيأ لهُ حملِ عشرةِ الافِ دينارٍ ومثلها منَ الورقِ على عنقِهِ ، فيكونُ فيها عَطَبُ صاحبِ المالِ ، وأنَّ لصاً لو دخل الى رجلٍ منهم ، لم يحمل أكثرَ من عشرةِ آلافِ فلس ، وإنما ذلك عشرة مثاقيل ذهبٍ .

وهذه الفلوسُ معمولةٌ من نحاسٍ وأخلاطٍ من غيره معجونةٍ بهِ . والفلسُ منها في قدرِ الدرهمِ البغليّ ، وفي وسطِهِ ثقبٌ واسعٌ ، ليفرد الخيط فيه . وقيمة كُلِّ الفِ فلسٍ منها مثقالٌ من ذهبٍ . وينظمُ الخيط منها ألف فلسٍ ، على رأسِ كل مائة عقدةً . فاذا ابتاع المُبتاعُ ضياعاً او متاعاً أو بقلاً ، فما فوقه ، دفع من هذه الفلوسِ على قدرِ الثمنِ . وهي موجودةٌ بسيراف ، وعليها نقش بكتابتهمْ.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وأما الحريقُ ببلادِ الصينِ والبناءُ ، وما ذُكِرَ فيهِ ، فالبلدُ مبنيٌ على ما قيلَ من خشبٍ ومن فن مشبَّكٍ ، على مثالِ الشقاق القصب عندَنا . ويليطُ بالطين وبعلاجٍ لهُمْ يتخذونَهُ من حبِّ الشهدانج* ، فيصيرُ في بَياضِ اللبنِ ، تُدْهَنُ بهِ الجُدُرُ ، فيشرقُ إشراقاً عجيباً . وليس لبيوتِهِمْ عتبٌ ، لأنَّ املاكَهُمْ وذخايرَهُمْ وما تحويهِ أيديهِمْ في صناديقَ مركّبةٍ على عَجَلٍ تدورُ بها . فإذا وَقَعَ الحريقُ ، دُفِعَتْ تلكَ الصناديقُ بما فيها ، فلم يمنعها العتبُ من سُرعةِ النفوذِ .

وأما أمرُ الخدمِ ، فَذُكِرَ مُجْمَلاً ، وإنَّما هُمْ ولاةُ الخراجِ ، وأبوابُ المالِ . فمنهم من قد سُبِيَ من الأطرافِ فَخُصِيَ . ومنهُمْ مَنْ يَخصيهِ والدُهُ من أهلِ الصينِ ، ويهديهِ الى المَلِكِ تقرُّباً بهِ اليه . فأمورُ الملكِ في خاصَّتِهِ وخَزَايِنِهِ ، ومَنْ يتوجَّهُ الى مدينةِ خانفو التي يقصدُ اليها تجارُ العربِ ، هُمُ الخدمُ . ومن سُنَنِهِمْ في ركوبِ هؤلاءِ الخدمِ وملوكِ سايرِ المدنِ ، إذا ركبُوا ، أنْ يتقدَّمَهُمْ رجالٌ بخشبٍ تُشبهُ النواقيسَ ، يضربونَ بها ، فتُسْمَعُ من بعدٍ ، فلا يقفُ أحدٌ من الرعيَّةِ في شيءٍ من ذلكَ الطريقِ الذي يريدُ الخادمُ أو الملكُ أنْ يمرَّ فيهِ . ومَنْ كانَ على بابِ دارِهِ

---

(٦٤) الأصل : طرى . وطرا : جاء فجأة من بعيد .

دَخَلَها ، وأغلقَ البابَ دونَهُ ، حتى يكونَ اجتيازُ الخادمِ أو الملكِ المملَّكِ على تلك المدينةِ ، وليسَ في طريقِهِ أحدٌ ، من العامَّةِ ، ترهيباً وتجبُّراً ، وليلاّ يكثرَ نظرُ العامَّةِ اليهم . ولا يمتدُّ لسانُ أحدٍ الى الكلامِ معهُمْ . ولباسُ خَدَمِهِمْ ، ووجوهِ قُوَّادِهِمْ ، فاخرُ الحريرِ الذي لا يُحْمَلُ مثلُهُ الى بلاد العربِ من عندهمْ لمبالغتهم في اثمانه [٦٥] . وذكرَ رجلٌ من وجوهِ التجّارِ ، ومَنْ لا يُشَكُّ في خبرِهِ ، أنَّهُ صارَ الى خصيٍّ ، كانَ الملكُ أنفذَهُ الى مدينةِ خانفو ، لتخيُّرِ ما يحتاجُ اليهِ من الأمتعةِ الواردةِ من بلاد العرب ، فرأى على صَدْرِهِ خالاً يشفُّ من تحتِ ثيابِ حريرٍ كانَتْ عليهِ ، فقدَّرَ أنَّهُ قد ضاعفَ بين ثوبين منها . فلمَّا ألحَّ في النظرِ ، قالَ لهُ الخصيُّ : أراكَ تُديمُ النظرَ الى صدري ، فَلِمْ ذلك ؟ فقالَ لهُ الرجلُ : عجبتُ من خالٍ يشفُّ من تحتِ هذه الثيابِ . فضحكَ الخصيُّ ، ثم طرحَ كُمَّ قميصِهِ الى الرجلِ ، وقالَ لهُ : اعدُدْ ما عليَّ منها ، فوجدَها خمسةَ أقبيةٍ بعضُها فوقَ بعضٍ ، والخالُ يشفُّ من تحتِها . والذي هذه صفتُهُ منَ الحريرِ خامٌ غيرُ مقصورٍ . والذي يلبسُهُ ملوكُهُمْ ، أرفعُ من هذا وأعجبُ .

وأهلُ الصينِ من أحذقِ خَلْقِ الله كفّاً بنقشٍ وصناعةٍ . وكلُّ عَمَلٍ لا يقدمُهُمْ فيهِ أحدٌ من سايرِ الأممِ . والرجلُ منهُمْ يصنعُ بيدِهِ ما يُقَدَّرُ أنْ غيرَهُ يعجزُ عنهُ ، فيقصدُ بهِ بابَ الملكَ يلتمسُ الجزاءَ على لطيفِ ما ابتدعَ . فيأمرُ الملكُ بنصبِهِ على بابِهِ من وقتِهِ ذلك الى سنةٍ . فإنْ لم يُخْرِجْ أحدٌ فيهِ عيباً ، جازاهُ وأدخلَهُ في جملةِ صُنَّاعِهِ . وإنْ أخرجَ فيهِ عيبٌ ، اطَّرحَهُ ، ولم يُجازِهِ .

وإنَّ رجلاً منهُمْ صوَّرَ سنبلةً عليها عصفورٌ في ثوبِ حريرٍ ، لا يشكُّ الناظرُ اليها أنَّها سنبلةٌ ، وأنَّ عصفوراً عليها . فبقيَتْ مدَّةً . وإنَّهُ اجتازَ بها رجلٌ أحدبُ ، فعابَها ، فأُدْخِلَ الى ملكِ ذلكَ البلدِ ، وحضرَ صانعُها . فسُئِلَ الأحدبُ عن العيبِ ، فقالَ : المتعارفُ عندَ الناسِ جميعاً ، أنَّهُ لا يقعُ عصفورٌ على سنبلةٍ إلاّ أمالَها . وإنَّ هذا المصوِّرَ صوَّرَ السنبلةَ قائمةً لا ميلَ لها ، وأثبتَ العصفورَ فوقَها منتصباً ، فأخطأَ . فَصُدِّقَ ، ولم يُثِبِ الملكُ صانعَها بشيءٍ . وقصدُهُمْ في هذا وشَبَهِهِ رياضةُ مَن يعملُ[٦٦] هذه الأشياءَ ، ليضطرَّهُمْ ذلكَ الى شدةِ الاحترازِ وإعمالِ الفكرِ فيما يصنعُ كل منهُمْ بيدِهِ .

---

(٦٥) الأصل : الى بلاد العرب عندهم ومبالغتهم في اثمانه ، والتقويم يفرضه السياق .

(٦٦) الأصل : يحل .

[١٦ ـ رحلة ابن وهب الى الصين]

وقد كانَ بالبصرةِ رجلٌ من قريش ، يُعْرَفُ بابنِ وَهْبٍ ، . منْ وُلْدِ هبَّارِ بنِ الأسودِ ، خَرَجَ منها عند خرابِها ، فوَقَعَ الى سيراف ، وكانَ فيها مركبٌ يريدُ بلادَ الصين . فنزعَتْ بهِ هِمَّتُهُ بالمقدارِ الجاري على أنْ ركبَ في ذلك المركبِ الى بلادِ الصينِ . ثم نزعَتْ بهِ هِمَّتُهُ الى قَصْدِ ملِكِها الكبيرِ ، فسارَ الى خمدانَ في مقدارِ شهرينِ منَ المدينةِ المعروفةِ بخانفو . وأقامَ ببابِ الملكِ مدَّةً طويلةً يرفعُ الرقاعَ ، ويذكرُ أنَّهُ من أهلِ بيتِ نبوَّةِ العربِ . فأمرَ الملكُ بعدَ هذه المدَّةِ بإنزالِهِ في بَعضِ المساكنِ وإزاحةِ علَّتِهِ فيما يحتاجُ اليه . وكتَبَ الملكُ الى الوالي المستخلفِ ، المقيمِ بخانفو ، يأمرُهُ بالبحثِ ومسألةِ التجارِ عمَّا يدَّعيهِ الرجلُ من قرابةِ نبيِّ العربِ ، صلى الله عليه ، فكتبَ صاحبُ خانفو بصحَّةِ نَسَبِهِ ، فأذِنَ لهُ ، ووصلَهُ بمالٍ واسعٍ عادَ بهِ الى العراقِ . وكانَ شيخاً فهماً .

[أ ـ انتصار العرب على العجم وتصنيف ملوك العالم]

فأخبَرَنا أنَّهُ لمَّا وصلَ اليه ، وسايَلَهُ عَنِ العربِ ، وكيفَ أزالوا مُلْكَ العَجَمِ . فقالَ لهُ : باللهِ ، جلَّ ذكرُهُ ، وبما كانَتِ العجمُ عليهِ من عبادةِ النيرانِ والسجودِ للشمسِ وللقمرِ من دونِ الله . فقالَ : لقد غَلَبَتِ العربُ على أجلِّ الممالكِ ، وأوسعِها ريفاً ، وأكثرِها أموالاً ، وأعقلِها رجالاً ، وأبعدِها صوتاً .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ثم قالَ لهُ : فما منزلةُ سايرِ الملوكِ عندكُمْ . فقالَ : ما لي بهمْ علمٌ . فقالَ للترجمان : قُلْ لهُ إنَّا نُعِدُّ الملوكَ خمسةً . فأوسعُهُمْ مُلْكاً الذي يملكُ العراقَ ، لأنَّهُ في وسطِ الدنيا ، والملوكُ مُحدقةٌ بهِ . ونجدُ اسمَهُ عندنا ملكَ الملوكِ . ويعدَهُ ملكُنا هذا ، ونجدُهُ عندَنا ملكَ الناسِ ، لأنَّهُ لا أحدَ منَ الملوكِ اسوسُ منَّا ، ولا أضبطُ لمُلْكِهِ من ضَبْطِنا لمُلْكِنا ، ولا رعيَّةَ منَ الرعايا أطوعُ لملوكِها من رعيَّتِنا . فنحنُ ملوكُ الناسِ ومنْ بعدِنا ملكُ السباعِ ، وهو ملكُ الترْكِ الذي يلينا . ويعدَهُمْ ملكُ الفِيَلَةِ ، وهو ملكُ الهندِ ، ونجدُهُ عندنا ملكَ الحكمةِ ، لأنَّ أصلَها منهُمْ . ويعدَهُ ملكُ الرومِ ، وهو عندنا ملكُ الرجالِ ، لأنَّ ليسَ في الأرضِ أتمُّ خلقاً من رجالِهِ ، ولا أحسنَ وجوهاً . فهؤلاء أعيانُ الملوكِ ، والباقونَ دونَهُمْ .

[ب ـ صور الأنبياء]

ثم قالَ للترجمان : قُلْ لهُ أتعرفُ صاحبَكَ إنْ رأيتَهُ ، يعني رسولَ الله ، صلَّى الله عليه . فقلتُ : وكيفَ لي برؤيَتِهِ ، وهو عندَ الله ، جلَّ وعزَّ ؟ فقالَ : لم أُرِدْ هذا ، إنَّما أردتُ صورَتَهُ . فقالَ أجَلْ .

فأمرَ بسَفَطٍ ، فأُخرِجَ . فَوُضِعَ بينَ يديهِ . فتناولَ منهُ دَرْجاً ، وقالَ للترجمان : أرِهِ صاحبَهُ . فرأيتُ في الدَّرْجِ صُوَرَ الأنبياءِ . فحركتُ شفتي بالصلاةِ عليهم . ولم يكنْ عندَهُ أني أعرفُهُمْ . فقالَ للترجمان : سَلْهُ عن تحريكِ شفتيهِ . فسألني . فقلتُ أُصَلِّي على الأنبياءِ . فقالَ : منْ أينَ عرفتَهُمْ ؟ فقلتُ : بما صُوِّرَ من أمرِهِمْ . هذا نوحٌ في السفينةِ ينجو بمَنْ معهُ ، لمّا أمرَ الله ، جلَّ ذكرُهُ ، الماءَ ، فغمَرَ الأرضَ كلَّها بمَنْ فيها ، وسلَّمَهُ ومَنْ مَعَهُ . فضحكَ وقالَ : أمّا نوحٌ فقد صدقتَ بتسميَتِهِ . وأمّا غرقُ الأرضِ كلِّها ، فلا نعرفُهُ ، وإنّما أخذَ الطوفانُ قطعةً من الأرضِ ، ولم يَصِلْ الى أرضِنا ولا أرضِ الهندِ . قالَ ابنُ وهبٍ : فتهيّبتُ الردَّ عليهِ ، وإقامةَ الحجّةِ ، لعلمي بدَفْعِهِ ذلك .

ثم قلتُ : هذا موسى وعصاهُ وبنو اسرائيل . فقالَ : نعم ، على قلّةِ البلدِ الذي كانَ بهِ ، وفسادِ قومِهِ عليهِ . فقلتُ : وهذا عيسى على حمارٍ والحواريون مَعَهُ . فقالَ : لقد كانَ قصيرَ المدّةِ ، إنّما كانَ عمرُهُ يزيدُ على ثلاثينَ سنةً[٦٧] شيئاً يسيراً . وعلَّدَ من أمرِ سايرِ الأنبياءِ ما اقتصرنا على ذكرِ بعضِهِ وزعمَ أنّهُ رأى فوقَ كلِّ صورةٍ لنبيٍّ كتابةً طويلةً ، قدَّرَ أنَّ فيها ذكرَ أسمايهمْ ومواقعَ بلدانِهِمْ ، وأسبابَ نبوواتِهِمْ . ثم قالَ : رأيتُ صورةَ النبي ، صلّى الله عليه وسلّم ، على جَمَلٍ ، وأصحابُهُ محدقون بهِ على إبلِهِمْ ، في أرجلِهِمْ نعالٌ عربيةٌ ، وفي أوساطِهِمْ مساويكُ مشدودةٌ . فبكيتُ . فقالَ للترجمانِ : سَلْهُ عن بكايهِ . فقلتُ : هذا نبيُّنا وسيدُنا وابنُ عمي ، عليه السلامُ . فقالَ : صدقتَ . لقد ملكَ هوَ وقومُهُ أجلَّ الممالِكِ ، إلّا أنَّهُ لم يعاينْ ما مَلَكَ ، إنّما عاينَهُ مَنْ بَعدَهُ . ورأيتُ صورَ أنبياءِ ذوي عددٍ كثيرٍ ، مِنْهُمْ مَنْ قد أشارَ بيدِهِ اليمنى وجمعَ بينَ الابهامِ والسبابةِ كأنّهُ يومي في إشارتِهِ الى الحقِّ ، ومِنْهُمْ قايمٌ على رجلِهِ ، مشيرٌ بأصابعِهِ الى السماءِ ، وغيرِ ذلك . زعمَ الترجمان أنّهُمْ من أنبيايهِمْ وأنبياءِ الهندِ . ثمّ سألني عَنِ الخلفاء وزمنِهم وكثيرٍ من الشرايعِ ووجوهِها ، على قدرِ ما أعلمُ منها .

[جـ- عمر الدنيا وسبب رحلة ابن وهب]

ثم قالَ : كمْ عمرُ الدنيا عندكم ؟ فقلتُ : قد اختُلِفَ فيهِ . فبعضٌ يقولُ ستةَ آلاف[٦٨] سنة . وبعضٌ يقولُ دونَها . وبعضٌ يقولُ أكثرَ منها ، إلّا أنّهُ يسير . فضحكَ ضحكاً كثيراً ، ووزيرُه أيضاً واقفٌ دلَّ على إنكارِهِ ذلك . وقالَ : ما أحسبُ نبيَّكم قالَ هذا . فزللتُ وقلتُ بل هو قالَ ذلكَ . فرأيت الإنكارَ في وَجْهِهِ .

---

(٦٧) الأصل : ثلاثين شهراً .

(٦٨) الأصل : ستة آلف .

ثمَّ قالَ للترجمان : قُلْ لَهُ مَيِّزْ كلامَكَ ، فإنَّ الملوكَ لا تكلّم إلاّ عن تحصيل . أما ما زعمتَ أنّكم تختلفونَ في ذلك ، فإنّكم إنّما اختلفتُمْ في قولِ نبيِّكُمْ . وما قالَتْهُ الأنبياءُ لا يجبُ ان يُخْتَلَفَ فيهِ ، بل هُوَ مُسَلَّمٌ . فاحذَرْ هذا وشبَهَهُ أنْ تحكيَهُ . وذكرَ أشياءَ كثيرةً قد ذهَبَتْ عني لطولِ العَهْدِ .

ثمَّ قالَ لي : لِمْ عَدَلْتَ عن مُلْكِكَ ، وهو أقربُ اليكَ منّا داراً ونسباً . فقلتُ : بما حَدَثَ على البصرةِ ، ووقوعي الى سيراف ، ونظري الى مركب ينفذُ الى الصينِ ، وما بلغني من جلالِ مَلِكِ الصينِ ، وكثرةِ الخيرِ بهِ . فأحببتُ الوقوعَ الى تلكَ الناحيةِ ، ومشاهدَتِها . وأنا راجعٌ عنها الى بلادي ومُلْكِ ابنِ عمّي ، ومُخبرُهُ بما شاهدتُ من جَلالِ هذا الملكِ وسِعَةِ هذه البلادِ . وسأقولُ بكلِّ حَسَنٍ ، وأثني بكلِّ جميلٍ . فسرَّهُ ذلك ، وأمرَ لي بالجايزةِ السنيَّةِ ، وبحملي على بغالِ البريدِ الى مدينة خانفو ، وكتبَ الى ملِكِها بإكرامي وتقديمي على جميعِ مَنْ في ناحيتِهِ من سايرِ الملوكِ ، وإقامةِ النزلِ لي الى وَقْتِ خروجي . فكنتُ في أخصبِ عيشٍ وأنعَمِهِ ، الى أنْ خرجتُ من بلادِ الصينِ .

[د ـ وصف مدينة خمدان واتصال البحار]

فسألناهُ عن مدينةِ خمدانَ التي بها الملكُ فوصَفَها ، فذكرَ سعةَ البلدِ ، وكثرةَ أهْلِهِ ، وأنَّهُ مقسومٌ على قسمين ، يفصلُ بينهما شارعٌ طويلٌ عريضٌ فالملكُ ووزيرُهُ وجنودُهُ وقاضي القضاةِ وخصيانُ الملكِ ، وجميعُ أسبابِهِ في الشقِّ الأيمنِ منهُ وما يلي المشرقَ ، لا يُخالِطُهُمْ أحدٌ منَ العامَّةِ ، ولا فيهِ شيءٌ من الأسواقِ ، بأنهارٍ في سككِهِمْ مطّردةٍ ، وأشجارٍ عليها منتظمةٍ ، ومنازلَ فسيحةٍ .

وفي الشقِّ الأيسرِ ممّا يلي المغربَ ، الرعيَّةُ والتجّارُ والميسرةُ والأسواقُ . وإذا وضحَ النهارُ ، رأيتَ قهارمةَ الملكِ وأسبابَهُ وغلمانَ دارِهِ وغلمانَ القوّادِ ووكلايهم ، من بين راكبٍ وراجلٍ ، قد دخلوا الى الشقِّ الذي فيهِ الأسواقُ والتجارُ ، فأخذوا وظايفَهم وحوايجَهم . ثمَّ انصرفوا ، فلم يعُدْ أحدٌ منهُمْ الى هذا الشقِّ إلاّ في اليوم الثاني . وإنَّ بهذا البلدِ من كلِّ نزهةٍ وغيضةٍ[٦٩] حسنةٍ وأنهارٍ مطّردةٍ إلاّ النحلَ فإنَّهُ معدومٌ .

ومِمّا حدث في زماننا هذا ، ولم يعرفْهُ مَنْ تقدّمنا ، أنَّهُ لم يكنْ أحدٌ يقدِّرُ أنَّ البحرَ الذي عليهِ بحرُ الصينِ والهندِ ، يتّصلُ ببحرِ الشامِ . ولا يقومُ في أنفسهم حتى كانَ في عصرنا هذا . فإنَّهُ بلغَنا أنَّهُ وُجِدَ في بَحرِ الروم خشبُ مراكبِ العربِ المخروزةِ التي قد تكسَّرَتْ بأهلِها ،

(٦٩) الأصل : غيظة .

فقطعَها الموجُ ، وساقَتْها الرياحُ بأمواجِ البحرِ ، فقذفَتْهُ الى بحرِ الخزرِ ، ثمّ جرى في خليجِ الرومِ ، ونفذَ منهُ الى بحرِ الرومِ والشامِ . فدلَّ هذا على أنّ البحرَ يدورُ على بلادِ الصينِ والسيلا وظَهْرِ بلادِ الترك والخَزَرِ . ثمّ يصبُّ في الخليجِ ، ويفضي الى بلادِ الشامِ . وذلكَ أنّ الخشبَ المخروزَ لا يكونُ إلّا لمراكب سيراف* خاصّة . ومراكب الشامِ* والرومِ مسمورةٌ غيرُ مخروزةٍ . وبلغَنا أيضاً أنّهُ وُجِدَ ببحرِ الشامِ عنبرٌ . وهذا مِنَ المُستنكرِ ، وما لم يُعْرَفْ في قِدَمِ الدهورِ ، ولا يجوزُ إنْ كانَ ما قيلَ حقّاً أن يكونَ العنبرُ وقَعَ الى بحرِ الشامِ إلّا منْ بحرِ عدن والقلزم وهو البحرُ الذي يتّصلُ بالبحارِ التي يكونُ فيها العنبرُ ، لأنّ الله ، جلّ ذكرُهُ ، قد جَعَلَ بينَ البحرينِ حاجزاً ، بل هو إنْ كانَ صحيحاً ، ممّا يقذفُهُ بحرُ الهندِ الى سايرِ البحارِ واحداً بعدَ واحدٍ حتى يفضي بهِ الى بحرِ الشامِ .

[١٧ ـ مملكة الزابج وجزرها ومواردها ولبنات ذهب ملوكها]

ذكر مدينة الزابج

ثم نبتدىء بذكرِ مدينةِ الزابج ، إذْ كانتْ تحاذي بلاد الصين ، وبينهما مسيرةُ شَهرٍ في البحر ، وأقلُّ من ذلك ، إذا ساعدتِ الرياحُ . ومَلِكُها يُعْرَفُ بالمهراجِ . ويقالُ إنّ تكسيرَها تسعُ مايةِ فرسخٍ .

وهذا الملكُ مَلِكٌ على جزايرَ كثيرةٍ ، يكونُ مقدارُ مسافةِ مملكتِهِ ألفَ فرسخٍ وأكثرَ . وفي مملكتِهِ جزيرةٌ تُعْرَفُ بسَرْبَزَهْ ، تكسيرُها ، على ما يذكرونَ ، أربعُ مايةِ فرسخٍ . وجزيرة أيضاً تُعْرَفُ بالرامني[٧٠] . تكسيرُها ثمانماية فرسخ ، فيها منابتُ البقّم والكافور وغيره . وفي مملكتِهِ جزيرة كلّه* ، وهي المنصّفُ بينَ أراضي الصينِ وأرضِ العربِ ، وتكسيرُها ، على ما يذكرونَ ، ثمانون فرسخاً . وبكلّه مجمعُ الأمتعةِ من الأعوادِ والكافورِ والصندلِ والعاجَ والرصاصِ القلعيِّ والأبنوسِ والبقّم والأفاويةِ كلّها وغيرِ ذلك ممّا يتّسعُ ويطولُ شرحُهُ . والجهازُ من عمان في هذا الوقتِ اليها ، ومنها الى عمان ، واقعٌ . وأمرُ المهراجِ* نافذٌ في هذه الجزايرِ .

وجزيرتُهُ التي هو بها في غايةِ الخصبِ . وعمارتُها منتظمةٌ . وذكَرَ مَنْ يُوثَقُ بقولِهِ أنّ الديكةَ ، إذا غرِّدَتْ في الأسحارِ للأوقاتِ كتغريدِها عندَنا ، تجاوبَتْ الى مايةِ فرسخٍ وما فوقَها ، يجاوبُ بعضُها بعضاً ، لاتّصالِ القرى وانتظامِها ، وإنّهُ لا مفاوزَ فيها ولا خرابَ ، وإنّ المنتقِلَ في بلادِهِمْ ، إذا سافَرَ وركبَ الظهرَ ، نزلَ حيثُ شاءَ .

---

(٧٠) الأصل : الرامي .

ومن عجيبِ ما بَلَغَنا منْ أحاديثِ هذه الجزيرةِ المعروفةِ بالزابج ، أنَّ ملكاً من ملوكِهِمْ في قديمِ الأيامِ ، وهو المهراج ، وقصرُهُ على ثلاجٍ يأخذُ منَ البحرِ . ومعنى الثلاجَ واد كدجلةِ مدينة السلامِ[٧١] والبصرةِ ، يغلبُ عليهِ ماءُ البحرِ بالمدِّ ، وينضبُ عنهُ الماءُ العذبُ بالجزرِ . ومنه غديرٌ صغيرٌ يلاصقُ قصرَ الملكِ . فإذا كانَ في صبيحةِ[٧٢] كلِّ يومٍ ، دخلَ قهرمانُ الملكِ ، ومعَهُ لَبِنَةٌ قد سَبَكَهَا من ذهبٍ فيها أمنان[٧٣] ، قد خَفِيَ عنّي مبلغُها . فيطرحُها بينَ يدي الملك في ذلك الغديرِ . فإذا كانَ المدُّ ، علاها وما كانَ مجتمعاً معهَا من أمثالِهَا وغَمَرَها . فإذا كانَ الجزرُ ، نَضبَ عنها ، فأظهرَها ، فلاحَتْ في الشمسِ والملكُ مطّلعٌ عليها عندَ جلوسِهِ في المجلسِ المُطِلِّ عليها . فلا تزالُ تلك حالُهُ ،[٧٤] يطرحُ في كلِّ يومٍ في ذلك الغديرِ لَبِنَةً من ذهبٍ ، ما عاشَ ذلك الملك مرَّ الزمانِ لا يُمَسُّ شيءٌ منهُ . فإذا ماتَ الملك ، أخرجَها القايمُ من بعدِهِ كلَّها ، فلمْ يَدَعْ منها شيْاً ، وأُحْصِيَتْ ، ثم أُذيبَتْ ، وفُرِّقَتْ على أهلِ بيتِ المملكةِ ، رجالِهِمْ ونسائِهِمْ ، وأولادِهِمْ وقوادِهِمْ وخدمِهِمْ ، على قَدْرِ منازلِهِمْ ، ورسومٍ لَهُمْ في كلِّ صنفٍ منهُمْ . فما فضلَ بعدَ ذلك ، فُضَّ على أهلِ المسكنةِ والضعفِ ، ثم دُوِّنَ عددُ اللِبَنِ الذهبِ ووزنُهُ ، وقيلَ إنَّ فلاناً مَلَكَ من الزمان كذا وكذا سنةً ، وخُلِّفَ من لِبَنِ الذهبِ في غديرِ الملوكِ كذا وكذا لَبِنَةً ، وإنَّها فُرِّقَتْ بعدَ وفاتِهِ في أهلِ مملكتِهِ . فالفخرُ عندَهُمْ لِمَنْ امتدَّتْ أيامُ ملكِهِ ، وزادَ عددُ اللِبَنِ الذهبِ في تركتِهِ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[١٨ ـ قصة ملك القمار وملك الزابج]

ومن أخبارِهِمْ في القديمِ أنَّ ملكاً من ملوكِ القمارِ* ، وهي الأرضُ التي يجلبُ منها العودُ القماريُّ ، وليسَتْ بجزيرةٍ ، بل هي على ما يلي أرضَ العرب . وليسَ في شيءٍ منَ الممالكِ أكثرُ عدداً من أهلِ القمارِ . وهُمْ رحّالة . كلُّهمْ يحرِّمونَ الزنا والأنبذةَ كلَّها ، فلا يكونُ في بلادِهِمْ ومملكتِهِمْ شيءٌ منه . وهيَ مسامتةٌ لمملكةِ المهراجِ والجزيرةِ المعروفةِ بالزابجِ ، وبينَهُما مسافةُ عشرةِ أيام الى عشرينَ يوماً عرضاً في البحرِ ، إذا كانَتِ الريحُ متوسطةً .

---

(٧١) الأصل : مدينة السلم .

(٧٢) الأصل : صبحة .

(٧٣) الأصل : آمنا .

(٧٤) الأصل : حالة .

[آ ـ تفكير ملك القمار بقطع رأس ملك الزابج]

فقيل إنَّ هذا الملكَ يقلِّدُ الملكَ على القمار في قديمِ الأيامِ ، وهو حَدَثٌ متسرِّعٌ . وإنَّهُ جَلَسَ ، وهو مشرفٌ على وادٍ يجري بالماءِ العذبِ كدجلة العراق ، وبينَ قصرهِ والبحرِ مسيرةُ يومٍ ، ووزيرُهُ بينَ يديهِ ، إذ قال لوزيرهِ ، وقد جرى ذكرُ مملكةِ المهراجِ وجلالَتِها وكثرةِ عمارتِها ، وما تحتَ يدهِ منَ الجزايرِ : في نفسي شهوةٌ كنتُ أحبُّ بلوغَها . فقالَ لهُ الوزيرُ ، وكانَ ناصحاً ، وقد عَلِمَ منهُ السرعةَ : ما هيَ أيُّها الملكُ ؟ قالَ : كنتُ أحبُّ أن أرى رأسَ المهراجِ ، ملكِ الزابجِ في طَسْتٍ بين يديَّ . فَعَلِمَ الوزيرُ أنَّ الحسدَ أثارَ هذا الفكرَ في نفسِهِ ، فقالَ : أيُّها الملكُ ما كنتُ أحبُّ أن يُحدِّثَ الملكُ نفسَهُ بمثلِ هذا ، إذْ لم يجرِ بيننا وبينَ هؤلاءِ القومِ ، لا في فعلٍ ولا في حديثٍ ، تِرَةٌ . ولا رأينا منهُمْ شرّاً . وهُمْ في جزيرةٍ نائيةٍ غيرِ مجاورةٍ لنا في أرضِنا ، ولا طامعينَ في مُلْكِنا . وليسَ ينبغي أن يقفَ على هذا الكلامِ أحَدٌ ، ولا يعيدَ الملكُ فيهِ قولاً . فَغَضِبَ ، ولم يسمَعْ منَ الناصحِ ، وأذاعَ لقوّادِهِ ومَنْ كانَ يحضرُهُ مِنْ وجوهِ أصحابِهِ .

[ب ـ رد فعل ملك الزابج وهجومه على مملكة القمار]

فتناقلتْهُ الألسنُ ، حتى شاعَ ، واتصلَ بالمهراجِ . وكانَ جزلاً ، متحرِّكاً ، محنَّكاً ، قد بلغَ في السنِّ مبلغاً متوسِّطاً . فدعا بوزيرهِ ، وأخبرَهُ بما اتصلَ بهِ ، وقالَ لهُ : ليسَ يجبُ[٧٥] ، مع ما شاعَ من أمرِ هذا الجاهلِ ، وتمنيهِ ما تمنّاهُ ، بحادثةِ سنِّهِ وغرّتِهِ وانتشارِ ذلك من قولِهِ ، أن نمسكَ عَنْهُ . فإنَّ ذلكَ ممّا يفتُّ في عَضُدِ المُلْكِ ، ويُنْقِصُهُ ، ويضعُ منهُ . وأمَرَهُ بسَتْرِ ما جرى بينَهما ، وأنْ يُعِدَّ لَهُ ألفَ مركبٍ[٧٦] من أوساطِ المراكبِ ، بآلاتِها ، ويندبَ لكلِّ مركبٍ منها من حَمَلَةِ السلاحِ[٧٧] وشجعانِ الرجالِ مَنْ يستقلُّ بهِ . وأظهرَ أنَّهُ يُريدُ التنزُّهَ في الجزايرِ التي في مملكتِهِ . وكتبَ الى الملوكِ الذين في هذه الجزايرِ ، وهُمْ في طاعتِهِ وحمايَتِهِ[٧٨] ، بما عَزَمَ عليهِ من زيارتِهِمْ والتنزُّهِ بجزايرِهِمْ ، حتى شاعَ ذلك . وتأهَّبَ ملكُ كلِّ جزيرةٍ لما يصلُح للمهراجِ . فلمّا استتبَّ أمرُهُ وانتظمَ ، دخلَ في المراكبِ ، وعبَرَ بها وبالجيشِ الى مملكةِ القمارِ . وهو وأصحابُهُ أهلُ سواكٍ دايمٍ يفعلُ الرجلُ منهم ذلكَ في اليومِ مرّاتٍ . وسواكُ كلِّ واحدٍ منهم معَهُ ، لا يفارقُهُ أو مع غلامِهِ . فلم يشعُرْ بهِ ملكُ القمارِ حتى هجَمَ على الوادي المُفْضي الى دارِ

---

(٧٥) الأصل : يجب .
(٧٦) الأصل : مراكب .
(٧٧) الأصل : جملة .
(٧٨) الأصل : وحملته .

ملكِ القمارِ ، وطرَحَ رجالَهُ ، فأحدقُوا بهِ على سبيلِ غرَّةٍ فأخذَهُ ، واحتوى على دارِهِ ، وطارَ أهلُ المملكةِ من بين يديهِ . فأمرَ بالنداءِ بالأمانِ . وقعَدَ على السريرِ الذي كانَ يجلسُ عليهِ ملكُ القمار ، وقد أخذَهُ أسيراً . فأحضرَهُ وأحضرَ وزيرَهُ ، فقالَ لملكِ القمارِ : ما حَمَلَكَ على تمني ما ليسَ في وسعِكَ ، ولا لكَ فيهِ حظٌّ لو بلَّتَهُ ، ولا لوجيهِ سببٍ يُسهِّلُ السبيلَ اليه . فلَمْ يحر جواباً ثم قالَ لهُ المهراجُ : أمَا وإنَّكَ لو تمنَّيتَ مع ما تمنَّيتَهُ منَ النظرِ الى رأسي في طستٍ بينَ يديك ، إباحةَ أرضي ومُلْكِها او الفسادَ في شيءٌ منها ، لاستعملتُ ذلك كلَّه فيكَ . لكنَّكَ تمنيتَ شيئاً بعينِهِ ، فأنا فاعلُهُ بكَ ، وراجعٌ الى بلدي ، من غيرِ أن أمدَّ يداً الى شيءٌ من بلادِكَ مما جلَّ ودقَّ ، لتكونَ عظةً لِمَنْ بعدكَ ، ولا يتجاوز كلٌّ قَدْرَهُ وما قُسِمَ لهُ ، وأنْ يستغنمَ العافيةَ من لبستِهِ . ثم ضربَ عنقَهُ ثم أقبلَ على وزيرِهِ فقالَ لهُ : جُزيْتَ خيراً من وزير . فقد صحَّ عندي أنَّكَ أشرتَ على صاحبِكَ بالرأي ، لو قُبِلَ مِنْكَ . فانظُرْ مَنْ يَصلحُ للمُلْكِ من بعدِ هذا الجاهلِ ، فأقِمْهُ مقامَهُ . وانصرفَ من ساعتِهِ راجعاً الى بلادِهِ من غيرِ أنْ يمدَّ هو ولا أحدٌ من أصحابِهِ يدَهُ الى شيءٌ من بلادِ القمارِ . فلمَّا رجعَ الى مملكتِهِ ، وحدَّثَهُمْ بخبرِهِ ، والسببِ الذي حَمَلَهُ على ما أقدَمَ عليهِ . فدعا لهُ أهلُ مملكتِهِ ، وجزوهُ خيراً . ثم أمرَ بالرأس ، فغُسِلَ وطُيِّبَ ، وجُعِلَهُ في ظرفٍ ، وردَّهُ الى الملكِ الذي قامَ بالأمرِ ببلادِ القمارِ من بعدِ الملكِ المقتولِ . وكتبَ اليهِ أنَّ الذي حملني على ما فعلناهُ بصاحبِكَ بغيُهُ علينا وتأديبُنا لأمثالِهِ . وقد بلغَنا منهُ ما أرادَهُ بنا ، ورأينا ردَّ الرأسِ اليكَ ، إذْ لا دَرَكَ لنا في جَسَدِهِ ، ولا فخرَ بما ظفرنا بهِ منهُ . واتَّصلَ الخبرُ بملوكِ الهندِ والصينِ ، فعظمَ المهراجُ في أعينهمْ . وصارَتْ ملوكُ القمار من بعد ذلك ، كلَّما أصبحت ، قامَتْ وحوَّلَتْ وجوهَها نحوَ بلادِ الزابجِ ، فسجَدَتْ وكفَرَتْ للمهراجِ تعظيماً لهُ .

[جـ ـ ملوك الهند والصين والتناسخ]

وسايرُ ملوكِ الهندِ والصينِ يقولونَ بالتناسخِ ، ويدينونَ بهِ .

وذَكَرَ بعضُ مَنْ يُوثَقُ بخبرِهِ أنَّ مَلِكاً منْ ملوكِهِمْ جَدَّرَ . فلمَّا خرجَ منَ الجدريِّ ، نظرَ في المرآةِ ، فاستقبحَ وجهَهُ . فأبصرَ ابناً لأخيهِ ، فقالَ لهُ : ليسَ مثلي أقامَ في هذا الجسمِ على تغيُّرِهِ ، وإنَّما هو ظرفٌ للروحِ ، متى زالَ عنهُ ، عادَ في غيرِهِ . فَقُمْ بالمُلْكِ ، فإنِّي مزيلٌ بينَ جسمي وروحي الى أنْ أنحدِرَ في جسمٍ غيرِهِ . ثمَّ دعا بخنجرٍ لهُ مشحوذٍ قاطعٍ ، فأمرَ بهِ ، فحزَّ رأسَهُ ، ثمَّ أُحرِقَ .

المودة العاشرة

في عدد الأئمة وان المهدي منهم .

عن الشعبي عن عمر بن قيس بن عبد الله (رض) قال كنا جلوسا في حلقة فيها عبد الله ابن مسعود (رض) فجاء اعرابي فقال ايكم عبد الله بن مسعود فقال عبد الله انا عبد الله بن مسعود قال هل حدّثكم نبيكم كم يكون بعده من الخلفاء قال نعم اثنا عشر عدد نقيبا عدد نقباء بني اسرائيل .

وعن الشعبي عن مسروق قال بينما نحن عند عبد الله بن مسعود ونعرض مصاحفنا عليه انه قال له فتى هل عهد اليكم نبيكم كم يكون من بعده خليفة قال انك لحديث السن وان هذا شيء ما سابق احد قبلك نعم عهد الينا نبينا بعده اثنا عشر خليفة بعدد نقباء بني اسرائيل .

وعن عبد الملك بن عمير عن جابر بن عمرة (رض) قال كنت مع ابي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمعته يقول بعدي اثنا عشر خليفة ثم اخفى صوته فقلت لابي ما الذي قال فيّ اخفى صوته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال قال كلهم من بني هاشم .

وعن مسلم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي (رض) قال دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا الحسين على فخذيه وهو يقبّل عينيه ويقبّل فاه وهو يقول انت سيد ابن السيد وانت حجة ابن الحجة وانت امام ابن الامام يات حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم .

وعن اصبغ بن نباته عن عبد الله بن عباس (رض) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول انا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون .

وعن عناية بن ربيعي (رض) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد النبيين وعليّ سيد الوصيّين ان اوصيائي بعدي اثنا عشر اولهم عليّ وتاسعهم قائمهم .

وعن عليّ عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان يركب سفينة النجاة يتمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين فليوال عليّاً بعدي ويعادِ عدوه ولايأتم بالأئمة الهداة من ولده فإنهم خلفائي بعدي واوصيائي وحجج الله على خلقه بعدي وسادة امتي وقادة الاتقياء الى الجنة حزبهم حزبي وحزب اعدائهم حزب الشيطان .

وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاتذهب الدنيا حتى يقوم بامر امتي رجل من ولد حسين يملأ الارض عدلا كما ملئت ظلماً وجوراً .

وعن زيد بن خارجة مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمّا كان الليلة التي اخذ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الانصار البيعة الاولى فقال اخذت عليكم بما اخذ الله على النبيين من قبل ان تحفظوني وتمنعوني فيها بما تمنعوا انفسكم وتمنعوا عليّ بن ابي طالب وتحفظوه فإنه الصديق الاكبر زاد الله دينكم به وان الله اعطى موسى العصا وابراهيم النار وعيسى الكلمات التي كان يحيي بها الموتى واعطاني هذا اشار الى عليّ ولكل نبي آية وهذا آية ربي والأئمة الطاهرين من ولده آيات ربي لن تخلو الارض من الآيات مايبقي الله احد من ذريته وعليهم تقوم القيامة .

وعن ابن عباس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله فتح هذا الدين بعليّ فاذا هلك عليّ هلك الدين ولايصلحه الا المهدي بعده .

وعن ابي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو لم يبق من الدنيا الا يوماً ليبعث فيها رجل من اهل بيتي في امتي يوالي اسمه اسمي براق الجبين ويفتح قسطنطينة وجبل ديلم ويروى هذا الخبر بطريق اخر وذلك ولو لم يبق من الدنيا الا يوما يطوي الله اليوم حتى يبعث رجل من اهل بيتي يواطي اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وعن عليّ المرتضى عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الائمة من ولدى فمن اطاعهم فقد اطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله هم العروة الوثقى وهم الوسيلة الى الله تعالى .

وعنه عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من وراء النهر رجل يقال له الحارث الحراث من مقدمة رجل يقال له منصور يوطيء له ويمكن لآل محمد كما مكنت قريش رسول الله وجب على كل مؤمن نصوره او قال اجابته .

وعن ابي ليلى الاشعري (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمسكوا بطاعة أئمتكم فإن طاعتهم طاعتي وبغضهم معصيتي .

وعن ابن عمر (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الامام الضعيف ملعون يعني من يحتاج الى غيره في امور الدين .

المودة الحادية عشر

في فضائل فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

عن عبد الله بن عباس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خلق الله آدم وحوّا عليهما السلام كانا يفتخران في الجنة فقالا ما خلق الله خلقاً احسن منا فبينما هما كذلك اذ رأى صورة جارية لها نور شعشعاني يكاد ضوئه يطفىء الابصار على رأسها تاج وفي اذنيها قرطان قالا وما هذا التاج على رأسها قال هذا بعلها عليّ بن ابي طالب قالا وما هذا القرطان قال الحسن والحسين ابناها وُجد ذلك في غامض علمي قبل ان اخلقك بالفي عام .

عن عليّ المرتضى عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فاطمة احصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار .

وعنه عليه السلام ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اما سمعت ابنتي فاطمة ان الله تعالى فطمها وفطم محبيها من النار وعن جميع بن عمر (رض) قال دخلت مع عمي على عائشة (رض) فقال عمي لعائشة من كان احب النساء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت فاطمة ومن الرجال علي بن ابي طالب .

وعن فاطمة عليها السلام انها زارت النبي فبسط لها ثوباً فاجلسها عليه ثم جاء ابنها الحسن عليه السلام فاجلسه ثم جاء الحسين فاجلسه معهم ثم ضمّ الثوب عليهم ثم قال هؤلاء اهل بيتي وانا منهم اللهم ارض عنهم كما انا راض عنهم .

وعن ابن عباس (رض) قال لما تزوج فاطمة من عليّ قالت زوجي عائل لامال له فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أوَمَا ترضين ان يكون الله اطلع الى اهل الارض فاختار منهم رجلين احدهما ابوك والاخر بعلك .

وعن فاطمة عليها السلام قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني .

وعن ابي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اول من دخلت الجنة فاطمة بنت محمد مثلها في هذا الامة مثل مريم بنت عمران في بني اسرائيل .

وعن مسور بن مخرمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان بني هاشم وبنو مغيرة يستأذنوني في ان ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب عليه السلام فلا اذن لهم ثم لا اذن الا ان يحب علي ان يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإن ابنتي بضعة مني يسرني مايسرها ويؤذيني ما آذاها .

وعن عليّ المرتضى عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من وراء الحجب اغمضوا ابصاركم او غضوا حتى تجوز فاطمة بنت محمد على الصراط .

وعن عائشة قالت كان النبي اذا قدم من قبل نحر فاطمة وقامتها اشم رائحة الجنة .

وعن عليّ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال تأتي ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدماء تعلق بقائمة من قوائم العرش ياحكم احكم بيني وبين من قتل ولدى فيحكم الله لابنتي برب الكعبة .

وعنه عليه السلام ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا كان يوم القيامة نادى مناديا من بطنان العريش يا اهل القيامة اغمضوا ابصاركم لتجوز فاطمة بنت محمد مع قميص مخضوب بدم الحسين فتحتوى على ساق العرش فتقول انت الجبّار العادل اقضي بيني وبين من قتل ولدي فيقضي الله لبنتي ورب الكعبة ثم تقول اللهم اشفعني فيمن بكى على مصيبته فيشفعها الله فيهن .

وعن زيد بن علي عن انس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي ستة اشهر باب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول الصلوة الصلوة يا اهل بيت النبوة ثلاث مرات انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ويروي هذا الخبر باسانيد مختلفة من الصحابة منهم من قال ثمانية اشهر ومنهم من قال تسعة اشهر ومنهم من قال عشرة اشهر .

المودة الثانية عشر

في فضائل اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم معاً جملة بزيادة على ما مر

عن ابن عباس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بعليّ فإن الشمس عن يمينه والقمر عن يساره قلنا يا رسول الله وما هما قال الحسن والحسين وابوهما ضياء الدنيا وامهما بدر الدجى .

وعن عمران بن الحصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئلت ربي ان لا يدخل احداً من اهل بيتي النار فاعطانيه .

وعن ابن عباس (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ وفاطمة والحسن

فيعطيهِمْ الملِكُ من ذلك الأرزّ بعد انْ يأكلَ منهُ . ويتقرَّبُ رجلٌ رجلٌ منهُمْ ، فيأخذُ منهُ شيأً يسيراً ، فيأكلُهُ . فيلزمُ كل مَنْ أكلَ من هذا الأرزِّ ، إذا ماتَ الملكُ او قُتِلَ ، انْ يحرقوا انفسَهم بالنارِ عن آخرهم في اليومِ الذي ماتَ فيهِ ، لا يتأخرون عنهُ ، حتى لا يبقى منهم عينٌ ولا أثرٌ .

وإذا عزم الرجلُ على إحراقِ نفسِهِ ، سارَ إلى بابِ الملكِ ، فاستأذنَ ، ثم دارَ في الأسواقِ ، وقد أُجِّجَتْ لهُ النارُ في حَطَبٍ جزلٍ كثيرٍ ، عليها رجالٌ يقومون بإيقادِهَا حتّى تصيرَ كالعقيقِ حرارةً والتهاباً . ثم يُمِدُّونَ[٨٦] بينَ يديهِ الصنوجَ دايراً في الأسواقِ ، وقد احتوشَهُ أهلُهُ وقرابتُهُ ، وبعضُهم يضعُ على راسهِ إكليلاً منَ الريحانِ ، يملأُهُ جمراً ، ويصبُّ عليه السندروسَ* ، وهو معَ النارِ كالنفطِ . يمشي وهامتُهُ تحترقُ ، وروايحُ لحم راسهِ تفوحُ ، وهو لا يتغيَّر في مشيتِهِ ، ولا يَظْهَرُ منهُ جَزَعٌ ، حتى يأتيَ النارَ ، فَيثِبُ فيها ، فيصيرُ رماداً . فذكَرَ بعضُ من حَضَرَ رجلاً منهمُ يريدُ دخولَ النارِ ، أنّه لمّا أشرفَ عليها ، أخذَ الخنجرَ ، فوضعَهُ على رأسِ فؤادِهِ فشقَّه بيدِهِ إلى عانتِهِ . ثم أدخلَ يدَهُ اليسرى ، فقبضَ على كَبِدِهِ ، فجذَبَ منها ما تهيّأ لهُ ، وهو يتكلّمُ . ثم قطعَ بالخنجرِ منها قطعةً ، فدفعها إلى أخيهِ استهانةً بالموتِ ، وصبراً على الألمِ ، ثم زجَّ بنفسِهِ في النارِ إلى لعنةِ اللهِ .

وزعمَ هذا الرجلُ الحاكي انَّ في جبالِ هذه الناحيةِ قوماً من الهند ، سبيلُهم سبيلُ الكنيفيةِ والجليديةِ عندنَا في طلبِ الباطلِ والجَهْلِ . بينهم وبين أهلِ الساحل عصبيَّةٌ ، أنَّهُ لا يزالُ رجلٌ من أهلِ الساحلِ يدخلُ الجبلَ ، فيستدعي منْ يصابرُهُ على التميثل بنفسِهِ . وكذلك أهلُ الجبلِ لأهلِ الساحلِ . وأنَّ رجلاً من أهلِ الجبالِ سارَ إلى أهلِ الساحل لمثلِ ذلك . فاجتمعَ إليهِ الناسُ بينَ ناظرٍ ومتعصِّبٍ . فطالبَ أهلَ العصبيةِ بأنْ يصنعوا مثلَما يصنعُ . فإن عجزوا عنهُ ، اعترفوا بالغلبةِ ، وأنّه جلسَ عندَ رأسِ منابتِ[٨٧] القنى ، وأمرهُمْ باجتذابِ قناةٍ من تلك القنى ، وسبيلهُ سبيلُ القصبِ في التفافِهِ ، وأصلهُ مثلُ الدنِّ وأغلظُ . وإذا حُطَّ رأسُ القناةِ ، استجابَتْ حتّى تقاربَ الأرضَ . فاذا تُرِكَتْ عادت الى حالِهَا . فجذبَ رأسَ قناةٍ غليظةٍ حتى قربَتْ منه . ثم شدَّ بها ضفايرَهُ شدّاً وثيقاً ، ثمّ أخذَ الخنجرَ ، وهو كالنارِ في سرعتِها . فقالَ لَهُمْ : إنّي قاطعٌ رأسي بهِ ، فإذا بانَ عن بدني ، فأطلقوهُ من ساعتِهِ ، فسأضحكُ إذا عادَتِ القناةُ برأسي إلى موضعِهِ وتسمعونَ[٨٨] قهقهةً يسيرةً . فعجزَ أهلُ الساحِلِ عن انْ يصنعوا مثلَ ذلك . وقد أخبرنا بهذا مَنْ لا نتّهِمُهُ ، وهو اليومَ متعارفٌ ، إذْ كانت هذه البلادُ من الهندِ تقربُ من بلادِ العربِ ، وأخبارُها متصلةٌ بهم في كلِّ وقتٍ .

(٨٦) الأصل : الأصل : يعدوا .
(٨٧) الأصل : منايت .
(٨٨) الأصل : وتسمعوا .

ومن شأنِهِمْ ، إذا أخذتِ السنُّ من رجالِهم ونسائِهِمْ ، وضعفَتْ حواسُّهُمْ ، أنْ يُطَالِبَ مَنْ صارَ في هذه الحالِ منْهمْ اهلَهُ بطرحِهِ في النارِ أو تغريقِهِ في الماءِ ، ثقةً منهم بالرجعةِ . وسبيلُ موتاهم الإحراقُ .

[ب ـ جزيرة سرنديب : ابتزاز التجار فيها وجواهرها ومقامرات أهلها وفسادهم]

وقد كانَ بجزيرةِ سرنديب ، وبها جبلُ الجوهرِ ومغاصُ اللؤلؤِ وغيرُه ، يُقْدِمُ الرجلَ الهنديُّ على دخولِ السوقِ ، ومعَهُ الجربُ* ـ وهو خنجرٌ لهم عجيبُ الصنعةِ ، مُرْهَفٌ . فيضربُ بيدِه الى أجلِّ تاجرٍ يقدرُ عليهِ ، ويأخذ بتلابيبِهِ ، ويُشْهِرُ الخنجرَ عليه ، ويُخْرِجُهُ عن البلدِ في مجمعٍ منَ الناسِ ، لا يتهيأُ لهم فيهِ حيلة . وذلك أنَّهُ متى أُريدَ انتزاعُهُ منه ، قَتَلَ التاجرَ وقَتَلَ نفسَهُ . فإذا خرج عن البلد ، طالَبَهُ بالفديةِ ، وتبعَ مَنْ يفتديهِ بالمالِ الكثيرِ . فدامَ ذلك بهِمْ مدَّةً منَ الزمانِ حتى ملكَهُمْ ملكٌ ، امرَ بمن فَعَلَ ذلك منَ الهندِ أن يُؤْخَذَ على أيةِ حالٍ كانَ . ففعلَ ذلك ، فقَتَلَ الهنديُّ التاجرَ وقَتَلَ نفسَهُ . فجرى هذا على جماعةٍ منهُمْ ، وتلفَتْ فيهِ أنفسُ الهندِ وأنفسُ العربِ . فلمَّا وقعَ الياسُ ، انقطعَ ذلك ، وأمِنَ التجارُ على أنفسهم .

والجوهرُ الأحمرُ والأخضرُ والأصفرُ مخرجُهُ من جبلِ سرنديب . وهي جزيرةٌ . وأكثرُ ما يظهرُ لهم في وقتِ المُدودِ ، يدحرجُهُ الماءُ عليهم من كهوفٍ ومغاراتٍ ومسايلِ مياهٍ . لهم عليها أرصادٌ للملكِ . وربَّما استنبطوهُ أيضاً كما تُستنبَطُ المعادنُ ، فيخرجُ الجوهرُ ملصقاً بالحجارةِ ، فتُكسَرُ عَنْهُ .[٨٩]

وللملكِ هذه الجزيرةِ شريعةٌ ومشايخُ ، لَهُمْ مجالس كمجالسِ محدِّثينا ، يجتمعُ اليهم الهندُ ، فيكتبون عنهُمْ سِيَرَ أنبيائِهم وسنن شرايعِهِمْ .

وبها صنمٌ عظيمٌ من ذهبٍ إبريزٍ ، يُفرِّطُ البحريون في مَبلغ وَزْنِهِ ، وهياكلُ قد أُنفقَ عليها أموالٌ عظيمةٌ .

وبهذه الجزيرةِ جمعٌ من اليهودِ كثيرٌ ، ومنْ سائرِ المِلَلِ . وبها أيضاً ثنويةٌ . والملكُ يبيحُ لكلِّ فريقٍ منهم ما يتشرَّع بهِ .

ومحاذي هذه الجزيرة أغبابٌ واسعةٌ . ومعنى الغبِّ الوادي العظيم ، إذا أُفرطَ في طولِهِ وعَرْضِهِ ، وكانَ مصبُّه الى البحر . يسيرُ المجتازون في هذا الغبِّ* ، المعروف بغبِّ سرنديب ، شهرين وأكثر ، في غياضٍ ورياضٍ وهواءٍ معتدلٍ . وفي فوَّهةِ هذا الغبِّ ، البحرُ المعروفُ بهركند . وهو نَزِه المكانِ ، الشاةُ فيه بنصفِ درهمٍ . وما يشربُ جمعٌ منَ الرجالِ منَ الشرابِ المطبوخِ من عَسَلِ النحلِ بحبِّ الداذي* الرطبِ بمثلِ ذلكَ . وأكثرُ أعمالِهِمِ القمارُ بالديكةِ

---

(٨٩) الأصل : فيكسر عنه .

والنردِ . والديكةُ عندهُمْ عظيمةُ الأجسامِ ، وافرةُ الصياصي ، يستعملون لها منَ الخناجر الصغارِ المرهفةِ ما يُشَدُّ على صياصيها ، ثم تُرْسَلُ . وقمارُهُمْ في الذهبِ والفضّةِ والأرضين والنباتِ وغيرِ ذلك . فيبلغُ الديكُ الغالبُ جملةً من الذهبِ . وكذلك لعبُهم بالنردِ دايمٌ على خَطَرٍ واسعٍ حتى إنَّ أهْلَ الضعفِ منهُمْ ، ومَنْ لا مالَ لَهُ ، ممّنْ يذهبُ الى طَلَبِ الباطلِ والفتوّةِ ، ربّما لاعبَ في أناملِهِ ، فيلعبُ والى جنبِهِ شيءٌ قد جُعِلَ فيهِ منْ دهنِ الجوزِ أو دهنِ السمسمِ ، إذْ كانَ الزيتُ معدوماً عندَهمْ ، وتحتَهُ نارٌ تحميهِ ، وبينَهما فاسٌ صغيرةٌ مشحوذةٌ . فإذا غلبَ أحدُهما صاحبَه ، وضعَ يدَهُ على حَجَرٍ ، وضربَ القامرُ بالفاسِ انملةَ المقمورِ ، فأبانَها ، ووضعَ المقمورُ يدَهُ في الدهنِ ، وهو في نهايةِ الحرارةِ ، فيكويها . ولا يقطعُهُ ذاك عن المعاودةِ في اللعبِ . فربّما افترقا ، وقد بطلَتْ أناملُهما جميعاً . ومنهُمْ مَنْ يأخذُ الفتيلةَ ، فينقعُها في الدهنِ ، ثم يضعُها على عُضْوٍ من أعضايهِ ، ويشعلُ النارَ فيها . فهي تحترقُ ، ورايحةُ اللحمِ تفوحُ ، وهو يلعبُ بالنردِ ، لا يَظْهَرُ منهُ جَزَعٌ .

والفسادُ في هذا الموضعِ فاشٍ في النساءِ والرجالِ ، غيرُ محظورٍ ، حتى إنَّ تجارَ البحرِ ، ربّما دعا الواحدُ منهم ابنةَ ملكِهِمْ ، فتأتيه الى غياضِهِمْ بعلمِ أبيها . وكانَ مشايخُ أهلِ سيراف يمنعون من الجهازِ الى هذه الناحيةِ وخاصّةً الأحداثَ .

[جـ- الارز والبراهمة والبيكرجيون]

وأمرُ اليسارةِ التي تكونُ ببلادِ الهندِ ، وتفسيرُها المطرُ . فإنَّهُ يدومُ عليهم في الصيفِ ثلثةَ اشهرٍ تباعاً ليلاً ونهاراً ، لا يمسكُ الشتاءُ عنهُمْ بتّةً . وقد استعدُّوا قبلَ ذلكَ لأقواتِهِمْ . فإذا كانَتِ اليسارةُ ، أقاموا في منازِلِهِمْ ، لأنّها معمولةٌ من خَشَبٍ مكنّسةٌ السقوفِ . مُظلّلةٌ بحشايشَ لَهُمْ ، فلا يظهرُ أحدٌ منهم إلّا لمهمٍّ . على أنَّ أهلَ الصناعاتِ يعالجونَ صنايعَهُمْ في هذه الأماكنِ هذه المدّةَ . وربّما عفنَتْ أسافلُ أرجلِهِمْ في هذا الوقتِ . وبهذه اليسارةِ عيشُهم . وإذا لم تَكُنْ ، هلكُوا لأنَّ زراعتَهم الأرزُ لا يعرفونَ غيرهُ ، ولا قوتَ لهم سواهُ . إنّما يكونُ في هذا الوقتِ في حزاماتٍ[٩٠] لهمُ طريحاً ، لا يحتاجونَ الى سقيٍ ومعاناة . ومعنى الحزاماتِ منابتُ الأرزِّ عندهُمْ . فإذا انكشفَتِ السماءُ عنهم ، بلغَ الأرزُّ النهايةَ في الريعِ والكثرةِ ، ولا يُمْطرونَ الشتاءَ .

وللهندِ عبّادٌ وأهلُ علمٍ يُعرَفونَ بالبراهمةِ ، وشعراءُ يغشونَ الملوكَ ، ومنجّمونَ وفلاسفةٌ وكهّانٌ ، وأهلُ زجرٍ للعربانِ وغيرِها . وبها سحرةٌ وقومٌ يظهرونَ التخاييلَ ويُبدِعُونَ فيها ، وذلك بقنّوجَ خاصّةً ، وهو بلدٌ عظيمٌ في مملكةِ الجوز .

---

(٩٠) الأصل : حرامات .

وبالهندِ قومٌ يُعرفونَ بالبيكرجيين* ، عراةٌ ، قد غطّتْ شعورُهم أبدانَهم وفروجَهُمْ . وأظفارُهُمْ مستطيلةٌ كالحِرابِ ، إذْ كانت لا يُقَصُّ إلاّ ما ينكسرُ منها . وهُمْ على سبيلِ سياحةٍ . وفي عُنُقِ رجلٍ منهم خيطٌ فيهِ جمجمةٌ من جماجمِ الأنسِ . فإذا اشتدَّ به الجوعُ ، وقفَ ببابِ بعضِ الهندِ ، فأسرعوا اليهِ بالأرزِّ المطبوخِ مستبشرين بهِ ، فيأكلُ في تلكَ الجمجمةِ . فإذا شبعَ انصرفَ ، فلا يعودُ لطلبِ الطعامِ إلاّ في وقتِ حاجتِهِ .

[د ـ شرايع الهند وصنم المولتان]

وللهند ضروبٌ من الشرايعِ ، يتقرّبون بها ، زعموا ، الى خالِقِهِمْ ، جلَّ الله وعزَّ عمّا يقولُ الظالمونَ علواً كبيراً . منها أنَّ الرجلَ يبني في طُرُقِهِم الخانَ للسابلةِ ، ويقيمُ فيهِ بقّالاً يبتاعُ المجتازونَ منهُ حاجتَهم . ويقيمُ في الخانِ فاجرة من نساءِ الهندِ يُجري عليها ، لينالَ منها المجتازون ، وذاك عندهُمْ ، ممّا يُثابونَ عليه .

وبالهندِ قحابٌ يُعرفونَ بقحابِ البدِّ . والسببُ فيهِ أنَّ المرأة ، إذا نَذَرَتْ ندراً ، ووُلِدَ لها جاريةٌ جميلةٌ ، أتَتْ بها البدَّ ، وهو الصنمُ الذي يعبدونَهُ ، فجعلَتْها لهُ . ثم اتَّخَذَتْ لها في السوقِ بيتاً ، وعلّقتْ عليهِ ستراً ، وأقعدَتْها على كرسيٍّ ، لتجتازَ بها أهلُ الهندِ وغيرُهم من سايرِ المِلَلِ ممّن يتجاوزُ في دينِهِ . فتمكّن من نفسِها بأجرةٍ معلومةٍ . وكلّما اجتمعَ لها شيءٌ من ذلك ، دفعَتْهُ الى سَدَنَةِ الصنمِ ، ليُصْرَفَ في عمارةِ الهيكلِ . والله جلَّ وعزَّ نحمدُهُ على ما اختارَ لنا ، وطهّرَنا من ذنوبِ الكفرةِ بهِ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فأمّا الصنمُ المعروفُ بالمولتان* ، وهو قريب المنصورةِ ،* فإنَّهُ يقصدُ من مسيرةِ أشهرٍ كثيرةٍ ، ويحملُ الرجلُ منهُمُ العودَ الهنديَّ القامرونيَّ ـ وقامرونُ بلدٌ يكونُ فيهِ فاخرُ العودِ ، حتى يأتيَ بهِ الى هذا الصَّنَمِ ، فيدفعُهُ الى السدنةِ لبخورِ الصنمِ . ومن هذا العودِ ما قيمةُ المن منه(٩١) مايتا دينار . وربّما خُتِمَ عليه ، فانطبعَ الخاتمُ فيه للدونتِهِ . فالتجارُ يبتاعونَهُ من هؤلاءِ السدنةِ* .

[هـ ـ غرس عباد الهند النارجيل وبناء العمانيين السفن منه] .

وبالهندِ عُبّادٌ ، في شرايعهم يقصدونَ الى الجزايرِ التي تحدثُ في البحرِ ، فيغرسونَ بها النارجيلَ ، ويستنبطونَ بها المياهَ للأجروان يجتاز بها المراكبُ ، فتنالُ منها .

وبعمان مَنْ يقصدُ الى هذه الجزايرِ التي فيها النارجيلُ ، ومعهُمْ آلاتُ النجّارِ وغيرها ، فيقطعونَ من خشبِ النارجيلِ ما أرادوا . فإذا جفَّ ، قُطِّعَ ألواحاً . ويفتلونَ من ليفِ النارجيلِ ما يخرزونَ بهِ ذلك الخشبَ . ويستعملون منهُ مركباً . وينحتونَ منهُ أدقالاً . وينسجونَ من خُوصهِ شراعاً ، ومن ليفِهِ خراباتٍ ، وهي القُلوس عندنا . فإذا فرغوا من

---

(٩١) الأصل : المنا .

جميعِهِ ، شُحِنَتُ المراكبُ بالنارجيلِ ، فَقُصِدَ بها عمانَ ، فبيعَ . وعظمَتْ بركتُهُ ومنفعتُهُ ، إذْ كانَ جميعُ ما يُتخذُ منهُ غيرُ محتاجٍ الى غيرهِ .

[٢١ ـ بلاد الزنج]

[آ ـ وصف بلاد الزنج عامة]

وبلادُ الزنجِ واسعة . وكلُّ ما ينبتُ فيها منَ الذرةِ ـ وهو أقواتُهم ـ وقصبُ السكّرِ وسايرُ الشجرِ . فهو أسودُ عندَهم . ولهم ملوكٌ يغزو بعضُهم بعضاً . وعند ملوكِهِمْ رجالٌ ، يعرفون بالمخزّمين ،* قد خزمَتْ أنوفُهُمْ ، ووُضِعَ فيها حلقٌ ، ورُكِّبَ في الحلقِ سلاسلُ . فإذا كانَتِ الحربُ تقدموا ، وقد أخذ بطرف كلِّ سلسلةٍ رجلٌ ، يجذبُها ويصدُّ[٩٢] عن التقدُّمِ حتى تُسفرَ السفراءُ بينَهم . فإنْ وقعَ الصلحُ ، وإلاّ شُدَّتْ تلكَ السلاسلُ في أعناقِهِمْ ، وتركوا والحربَ . فلم تَقُمْ لهم قائمةٌ ، ولم يَزَلْ أحدُهُمْ عن مركزِهِ دونَ أنْ يُقتَلَ . وللعربِ في قلوبِهِمْ هيبةٌ عظيمةٌ ، فإذا عاينوا رجلاً منهُمْ سجدوا لَهُ ، وقالوا : هذا من مملكةٍ ينبتُ بها شجرُ التمرِ ، لجلالةِ التمرِ عندَهُمْ وفي قلوبِهِمْ .

ولهم الخطبُ . وليس في الأمم كخطباءِهم بألسنتهم . وفيهم من يتعبَّدُ ، فيستترُ بجلدِ نمرٍ أو جلدِ قردٍ ، ويأخُذُ بيدِهِ عصا ، ويُقبلُ نحوهم . فيجتمعُ اليه منهم جَمْعٌ . فيقفُ على رجلِهِ يوماً الى الليلِ يخطبُ عليهم ، ويذكّرهُمْ بالله جلَّ ذكرُه ، ويصفُ لهم أمورَ مَنْ هلكَ منهم .

ومن عندِهِمْ تُحْمَلُ النمورُ الزنجيَّةُ ، وفيها حُمْرَةٌ وهجانةٌ ، ولها كبرٌ وسعةٌ .

[ب ـ وصف جزيرة سقطرة]

وفي البحر جزيرةٌ تعرفُ بسقوطرا .* وبها منابتُ الصبرِ الأسقوطريُّ . وموقعُها قريبٌ من بلادِ الزنجِ وبلادِ العربِ . وأكثرُ أهلها نصارى . والسببُ في ذلك أنَّ اسكندرَ ، لمّا غَلَبَ على ملكِ فارس ، كان يكاتبُهُ معلّمهُ ارسطوطاليس ، فيعرِّفُهُ ما وقعَ عليه من الأرضين . فكتبَ اليه يؤكّد عليهِ في طلب جزيرةٍ في البحرِ تُعْرَفُ بسقوطرا ، وأنْ بها منابتَ الصبرِ ، وهو الدواءُ الأعظمُ الذي لا تتمُّ الإيارجات إلاّ بهِ ، وأنَّ الصوابَ أنْ يُخرجَ مَنْ كانَ في هذه الجزيرة ، ويقيمَ فيها منَ اليونانيين من يحوطُها ، ليحملَ منها الصبرُ الى الشامِ والرومِ ومصر . فبعثَ اسكندر ، فاخرجَ أهلَها عنها ، وأنزلَ جمعاً منَ اليونانيين فيها . وتقدَّمَ الى ملوكِ الطوايف ، إذْ كانوا عندَ قتلِهِ دارا الكبيرَ طوعَ يدِهِ بالاحتفاظِ بهمْ . فكانوا في صيانةٍ حتّى بعثَ الله عيسى عليه السلام ،

---

(٩٢) الأصل : ويصده .

فبلغَ من بهذه الجزايرِ منَ اليونانيةِ أمرَهُ ، فدخلوا في جُملَةِ ما دخَلتْ فيهِ الرومُ من التنصُّر ، وبقاياهُمْ بها الى هذا الوقتِ مع سايرِ مَنْ سَكَنَها من غيرِهِمْ .

[جـ ـ ساحلِ جزيرة العرب في الجنوب وفي بحر القلزم]

ولم يَذْكُرْ في هذا الكتابِ ، يعني الكتابَ الأولَ ، ما تيامنَ منَ البحرِ عندَ خروجِ المراكبِ من عمانَ وأرضِ العربِ ، وتوسُّطِهُمْ للبحرِ الكبير . وإنَّما شرحَ فيهِ ما تياسَرَ منها ، إذْ كانَ فيهِ بحرُ الهندِ والصين . وفيهِ كانَ مقصدُ مَنْ كتبَ ذلك الكتابَ عنهُ .

ففي هذا البحرِ الذي عَنْ يمينِ الهندِ ، للخارجِ[٩٣] منْ عمانَ ، بلادُ الشحرِ ، وهي منابتُ اللبانِ ، وأرضٌ من أراضي عاد وحمير وجرهم والتبابعة . ولهم ألسنةٌ بالعربيَّةِ عاديةٌ قديمةٌ ، لا يعرفُ أكثرَها العربُ . وليسَتْ لهم قرى . وهُمْ في قشفٍ وضيقِ عيشٍ الى أنْ تنتهي أرضُهم الى أرضِ عدن وساحلِ اليمن ، والى جُدَّة ، ومن جُدَّة الى الجار الى ساحلِ الشام . ثم تُفضي الى القُلزم ، وينقطعُ البحرُ هناك ، وهو حيثُ يقولُ الله جلَّ ذكرُهُ : وجَعَلَ بينَ البحرينِ حاجزاً . ثم ينعرجُ البحرُ منَ القلزمِ على أرضِ البربرِ . ثم يتصلُ بالجانبِ الغربيِّ الذي يقابلُ أرضَ اليمنِ حتى يمرَ بأرضِ الحبشةِ التي تُجلبُ جلودُ النمورِ البربريَّةُ منها ، وهي أحسنُ الجلودِ وأنقاها . والزيلعُ ، وفيها العنبرُ والذبلُ ، وهو ظهورِ السلاحف .

[د ـ سفر مراكب سيراف الى جدة ومقارنة بحر القلزم ببحر الهند والصين]

ومراكبُ أهلِ سيراف ، إذا وصَلَتْ في هذا البحرِ المتيامنِ عن بحرِ الهندِ ، فصارَتْ الى جُدَّة ، أقامَتْ بها ، ونُقِلَ ما فيها منَ الأمتعةِ التي تُحْمَلُ الى مصر في مراكبِ القلزم ، إذْ كانَ لا يتهيَّأ لمراكبِ السيرافيين سلوكُ ذلك البحرِ ، لصعوبتِهِ وكثرةِ جبالِهِ النابتةِ فيه . وإنَّهُ لا ملوكَ في شيءٍ من سواحلِهِ ، ولا عمارةَ . وإنَّ المركبَ ، إذا سلكَهُ ، احتاجَ في كلِّ ليلةٍ الى أنْ يطلبَ موضعاً يستكنُّ فيهِ خوفاً من جبالِهِ . فيسيرُ النهارَ ، ويقيمُ الليلَ . وهو بحرٌ مظلمٌ ، كريهُ الروايحِ ، لا خيرَ في بَطْنِهِ ولا ظَهْرِهِ . وليسَ كبحرِ الهندِ والصينِ الذي بطنُهُ اللؤلؤُ والعنبرُ وفي جبالِهِ الجوهرُ ومعادن الذهبِ ، وفي أفواهِ دوابِّهِ العاجُ ، وفي منابتِهِ الأبنوسُ والبقَّمُ والخيزرانُ وشجرُ العودِ والكافورُ والجوزبوا* والقرنفلُ والصندلُ وسايرُ الأفواهِ الطيبةِ الذكيةِ . وطيورُهُ الفقاغي ، يعني الببغاوات والطواويسُ . وخرشاتُ أرضِهِ الزبادُ وظباءُ المسكِ ، وما لا يُحصيهِ أحدٌ لكثرةِ خيرِهِ .

---

(٩٣) الأصل : الخارج .

[هـ ـ العنبر]

فأمّا العنبرُ وما يقعُ منهُ الى سواحلِ هذا البحرِ ، فهو شيءٌ تقذفُهُ الأمواجُ اليهِ ومبدوءُه من بحرِ الهندِ . على أنّهُ لا يُعْرَفُ مخرجُهُ ، غيرَ أنَّ أجوَدَهُ ما وَقَعَ الى بربر أو حدود بلاد الزنج والشحرِ وما والاها . وهو البيضُ المدوَّرُ الأزرقُ . ولأهلِ هذه النواحي نجبٌ يركبونَها في ليالي القمر ، ويسيرونَ بها على سواحِلِهِمْ . قد ربضَتْ ، وعَرَفَتْ طلبَ العنبرِ على الساحلِ . فإذا رآهُ النجيبُ برك بصاحبِهِ ، فأخذَهُ . ومنهُ ما يوجدُ فوقَ البحرِ ويزنُ وزناً كثيراً . وربّما كانَ كفيئةِ الثورِ ودونَها[٩٤] . فإذا رآهُ الحوتُ المعروفُ بالبال[٩٥] ابتلعَهُ . فإذا حصلَ في جوفِهِ ، قتلَهُ وطفَا الحوتُ فوقَ الماءِ . ولهُ قومٌ يراعونَهُ في قواربَ ، قد عرفوا الأوقاتَ التي يوجدُ فيها هذه الحيتان المبتلعةُ العنبر . فإذا عاينوا منها شيئاً ، اجتذبوهُ الى الأرضِ بكلاليبَ حديد ، فيها حبالٌ متينةٌ ، تنشبُ في ظَهْرِ الحوتِ . فيشقونه ويخرجونَ[٩٦] العنبرَ منهُ . فما كانَ يلي بطنَ الحوتِ ، فهو المندُ الذي فيه سهوكةٌ ، وسمكتُهُ موجودةٌ عندَ العطّارين بمدينةِ السلامِ والبصرة . وما لم تصل اليهِ سهوكةُ الحوتِ ، كان نقياً جداً .

وهذا الحوتُ المعروفُ بالبالِ[٩٥] ، ربّما عملَ من فقارِ ظَهْرِهِ كراسي يقعدُ عليها الرجلُ ويتمكّنُ . وذكروا أنَّ بقريةٍ من سيراف ، على عشرةِ فراسخ ، تعرف بالتاين ، بيوتاً عاديةً ، لطافاً ، سقوفُها من أضلاعِ هذا الحوتِ . وسمعتُ مَنْ يقولُ إنَّهُ وقعَ في قديمِ الأيامِ الى قربِ سيراف منهُ واحدةٌ . فقصَدَ للنظرِ اليها ، فوجدَ قوماً يصعدونَ الى ظَهْرِها بسلّمٍ لطيفٍ . والصيادون ، إذا ظفروا بها ، طرحوها في الشمسِ ، وقطعوا لحمَها ، وحفروا لها حفراً ، يجتمعُ فيها الودكُ ، ويغرفُ من عينِها إذا أذابَتِ[٩٧] الشمسُ الودكَ بالحرارةِ . ويجمعُ فيباعُ على أربابِ المراكبِ ، ويخلطُ بأخلاطٍ لهُمْ ، يُمْسَحُ بها مراكبُ البحرِ ، يسدُّ بهِ خَرَزُهَا ، ويسدُّ أيضاً ما ينفتقُ من خَرَزِها . فيباعُ ودكُ هذا الحوتِ بجملةٍ منَ المالِ .

[و ـ اللؤلؤ]

ذكر اللؤلؤ

بدوُ خَلْقِ اللؤلؤِ بلطيفِ تدبيرِ الله ، تباركَ اسمُه . وهو عزَّ وجلَّ يقولُ سبحانَ الذي خَلَقَ الأزواجَ كلَّها ممّا تنبتُ الأرضَ ومنْ أنفسهم وممّا لا يعلمون . فاللؤلؤ يبتدىء في مثلِ قَدَرِ

---

(٩٤) الأصل : ودونه .

(٩٥) الأصل : بالتال .

(٩٦) الأصل : فيشقوا عنه ويخرجوا .

(٩٧) الأصل : أذابتها .

الأعجدانة* وعلى لونها وفي هيئتِها وخفّتِها ورقّتِها وضعفِها . فيطيرُ على وجهِ الماءِ طيراناً ضعيفاً ، ويسقطُ على جوانبِ مراكبِ الغاصةِ . ثم يشتدُّ على الأيامِ ، ويعظُمُ ، ويستحجرُ . فإذا ثقُلَ ، لزِمَ قعرَ البحرِ . ويغذو بما الله اسلم به ، وليسَ فيهِ إلّا لحمةٌ حمراءُ كمثلِ اللسانِ في أصلِهِ ، ليسَ لها عظمٌ ولا عصبٌ ولا فيها عرقٌ . وقد اختلفوا في بدءِ اللؤلؤِ ، فقالَ قومٌ الصدفَ ، إذا وقعَ المطرُ ، ظهرَ على وَجهِ البحرِ ، وفتحَ فاه ، حتى يقطرَ فيهِ من المطرِ ، فيصيرُ حبّاً . وقال آخرون إنّهُ يتولّدُ منَ الصدفةِ نفسِها ، وهو أصحُّ الخبرين ، لأنّهُ ربّما وُجِدَ في الصدفة ، وهو نابتٌ لم ينقلعُ ، فيقلعُ ، وهو الذي تسمّيه تجارُ البحر اللؤلؤ القلع ، والله أعلم .

ومنْ عجايبِ ما سَمِعْنَا من أبوابِ الرزقِ أنّ أعرابيّاً وردَ البصرةَ في قديمِ الأيامِ ، ومعَهُ حبّةُ لؤلؤٍ تساوي جملةَ مالٍ . فصارَ بها الى عطّارٍ ، كانَ يألفُهُ ، فأظهرَها لَهُ ، وسايلَهُ عنها ، وهو لا يعرفُ مقدارَها . فأخبرَهُ أنّها لؤلؤةٌ . قالَ : وما قيمتُها ؟ قال : مايةُ درهمٍ . فاستكثرَ الأعرابي ذاك ، وقالَ : هلْ أحدٌ يبتاعُها منّي بما قلتَ ؟ فدفعَ لَهُ العطّارُ مايةَ درهمٍ ، فابتاعَ بها ميرةً لأهلِهِ ، وأخذَ العطّارُ الحبّةَ ، فقصدَ بها مدينةَ السلامِ فباعَها بجملةٍ منَ المالِ ، واتّسعَ العطّارُ في تجارتِهِ . فذكرَ العطّارُ أنّه سألَ الأعرابيَّ عن سببِ اللؤلؤةِ ، فقالَ مررتُ بالصمّانِ ، وهي من أرضِ البحرين ، بينَها وبينَ الساحلِ مديدةٌ قريبةٌ ، فرأيتُ في الرملِ ثعلباً ميتاً على فيهِ شيءٌ ، قد أطبقَ عليهِ ، فنزلتُ فوجدتُ شيئاً كمثلِ الطبقِ ، يلمعُ جوفُهُ بياضاً . ووجدتُ هذه المدحرجةَ فيهِ فأخذتُها . فعلِمَ أنّ السببَ في ذلكَ خروجُ الصدفةِ الى الساحلِ تستنشقُ الريحَ ، وذلك من عادةِ الصدفِ . فمرّ بها الثعلبُ . فلمّا عاينَ اللحمةَ في جوفِها ، وهي فاتحةٌ فاها وثَبَ بسرعتِهِ ، فأدخلَ فاهُ في الصدفِ ، وقبضَ على اللحمةِ . فأطبقَتِ الصدفةُ على فيهِ . ومن شأنِها ، إذا أطبقَتْ على شيءٍ وأحسّتْ بيدٍ تلمسُها ، لم تفتح فاها بحيلةٍ حتى تُشَقَّ من آخرِها بالحديدِ ، ضنّاً منها باللؤلؤةِ ، وصيانةً لَهُ ، كصيانةِ المرأةِ لولدِها . فلمّا أخذَتْ بنفسِ الثعلبِ ، أمعَنَ في العدو ، يضربُ بها الأرضَ يميناً وشمالاً ، الى أنْ أخذَتْ بنفسِهِ ، فماتَ وماتَتْ . وظفرَ برزقٍ .

[ز ـ عادات ملوك الهند في الزينة والطعام]

وملوكُ الهندِ تلبسُ الأقراطَ من الجوهرِ النفيسِ في آذانِها ، المركّبِ في الذهبِ . وتضعُ في أعناقِها القلايدَ النفيسةَ المشتملةَ على فاخرِ الجوهرِ الأحمرِ والأخضرِ واللؤلؤِ ما يعظمُ قيمتُهُ ويجلُّ مقدارُهِ . وهو اليومَ كنوزُهُمْ وذخايرُهُمْ ، وتلبسُهُ قوّادُهُمْ ووجوهُهُمْ ، والرئيسُ منهُمْ يركبُ على عُنُقِ رَجُلٍ منهُمْ ، وعليهِ فوطةٌ قد استترَ بها ، وفي يدِهِ شيءٌ يُعْرَفُ بالجترةِ ،* وهي مِظَلّةٌ من ريشِ الطواويسِ يأخذها بيدِهِ ، فيتّقي بها الشمسَ ، وأصحابُهُ مُحدقونَ بهِ .

ومنهُمْ صنفٌ لا يأكلُ اثنانِ منهُمْ في غضارةٍ واحدةٍ ، ولا على مايدةٍ واحدةٍ ، يجدونَ ذلك عيباً فاحشاً . فإذا وردُوا سيرافَ ، فدعاهُمْ وَجْهٌ من وجُوهِ التجّارِ ، وكانوا مايةَ نَفْسٍ أو دونَها أو فوقَها ، احتاجَ أنْ يَضَعَ بينَ يدي كلِّ رجلٍ منهُمْ طبقاً فيهِ ما يأكُلُهُ لا يشارِكُهُ فيهِ سواهُ .

وأمّا ملوكُهُمْ في بلادِهِمْ ووجوهُهُمْ ، فإنّهُ يُتّخذُ لَهُمْ في كلِّ يومٍ موايدُ يسفُّ خوصٌ النارجيلِ سفاً ، ويعملُ منهُ كهيئةِ الغضارِ والصحافِ . فإذا أُحْضِرَ الغذاء ، أكلوا الطعامَ في ذلك الخوصِ المسفوفِ . فإذا فرغوا من غذايهِمْ رُمِيَ بتلكَ المايدةِ والغضارِ والمسفوفِ من الخوصِ مع ما بَقِيَ منَ الطعامِ الى الماءِ . واستأنفوا من غدِهِمْ مثلَهُ .

وكانَ يُحْمَلُ الى الهندِ في القديمِ الدنانيرُ السنديّةُ ، فيباعُ الدينارُ بثلثةِ دنانيرَ وما زادَ . ويُحْمَلُ اليهم الزمرّدُ الذي يردُ من مصر ، مركّباً في الخواتيمُ ، مصوناً في الحقاقِ ، ويُحْمَلُ البسدُ ، وهو المرجانُ ، وحجرٌ[٩٨] يقالُ لهُ الدهنجُ ، ثم تركوهُ . وأكثرُ ملوكِهِمْ يُظْهِرونَ نساءَهُمْ ، إذا جلسُوا لِمَنْ دَخَلَ اليهم من أهلِ بلدِهِمْ وغيرِهِمْ . لا يُحجبنَ عن النظرِ اليهنَّ .

فهذا أجملُ ما لَحِقَهُ الذكرُ في ذلك الوقتِ ، على سِعَةِ أخبارُ البحرِ مع التجنُّبِ[٩٩] لحكايةِ شيءٍ ممّا يكذبُ فيهِ[١٠٠] البحريُّونَ ، ولا يقومُ في نَفْسِ المرءِ صدْقُهُ ، والاقتصارُ من كلِّ خبرٍ على ما صحَّ منه ، وإنْ قلَّ أولى .

والله الموفّقُ للصوابِ . والحمدُ لله ربِّ العالمين وصلواتُهُ على خيرتِهِ من خَلْقِهِ ، محمّدٍ وآلِهِ أجمعينَ . وهو حسبُنا ونعمَ الناصرُ والمعين .

قُوبِلَ بالمتنسَّخِ منهُ في صفر سنة ٥٩٦ والله الموفّقُ .

شروح وتعليقات

أبواب الصين : ممرات بين جزر تقع مقابل ساحل الصين . وردت هذه التسمية في الفقرة التالية «ثم تخطف المراكب الى بحر يقال له صنخي ، ثم الى ابواب الصين . وهي جبال في البحر ، بين كل جبلين فرجة ، تمر فيها المراكب . فإذا سلم الله من صنف فولاو ، خطفت المراكب الى الصين في شهر ، إلا أن الجبال التي تمر بها المراكب مسيرة سبعة ايام . فإذا جاوزت السفينة الأبواب ، ودخلت الخور صارت الى ماء عذب الى الموضع الذي ترسي اليه من بلاد الصين ، وهو يسمى خانفو» . .

(٩٨) الأصل : حجو .

(٩٩) الأصل التجيب .

(١٠٠) الأصل مما يكذن فيه .

وقد نقل ابن الفقيه هذه الفقرة حرفيا تقريبا ، فقال : «ثم تخطف (السفينة) الى موضع يقال له الصنف ، ثم الى موضع يقال له صندرفولات ، وهي جزيرة في البحر ، والمسيرة اليها عشرة ايام ، ثم الى موضع يقال له صنج ، الى ابواب الصين . وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة تمر فيها السفن ، ثم الى الصين . ومن صندرفولات الى الصين مسافة شهر ، إلا أن الجبال التي تمر بها السفن مسيرة سبعة ايام . . . فإذا جاوزت الأبواب ، صرت الى ماء عذب يقال له خانفو»[1] .

وكررها الشريف الإدريسي في قوله : «ومن جزيرة صنف الى جزير صندى فولات عشرة ايام . . . وجزيرة صندى فولات ، تحيط بها من جهة الصين جبال وعرة والرياح بها عاصفة . وهي باب من أبواب الصين . ومنها يركب الى مدينة خانفو اربعة أيام . وأبواب الصين اثنا عشر بابا ، وهي جبال في البحر ، بين كل جبلين فرجة ، يسار منها الى موضع بعينه من مدائن الصين المقصودة بالساحل . وجميع مراقء الصين لايكون منها شيء الا على خور تصعد فيه المراكب الشهر والاكثر والأقل . . .»[2] . والجبال في هذه النصوص بمعنى الجزر .

احتال : طلب الشيء بحذق وقدرة .

اختلف الى : جاء الى المكان المرة تلو الأخرى .

اذخر : حفظ الشيء لحين الحاجة له .

ارباب المراكب : الربابنة أو المعالمة .

استعذب : استقى الماء عذبا . اخذ حاجته منه .

الاسكندر : المقصود اسكندر ذو القرنين ، المولود في مقدونية ، والمتوفى في بابل سنة ٣٢٣ ق م . انتصر على دارا الكبير سنة ٣٣١ ق م . قرب اربيل . ودارا هو داريوس الثالث كودومان ، ملك الفرس الذي قتله قواده .

اندمان : جاء في نص اخبار الصين والهند انهما جزيرتان ، اهلهما من أكلة لحوم البشر . وهذه الفكرة واردة عند كثير من الجغرافيين في القرون الوسطى . ومنها اشتقت تسمية اندمان الكبرى واندمان الصغرى ، في حين ان مايسمى باندمان الكبرى هو في الواقع ثلاث جزر متقاربة جدا حتى يكاد بعضها يلتصق ببعض .

الايارجات : جمع ايارجة اي الدواء .

---

(١) مختصر كتاب البلدان ، ص ١٢ ـ ١٣ .

(٢) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، الجزء العاشر من الإقليم الأول ، صفحة ٨٩ ـ ٩٠ ، طبعة نابولي ـ رومة ، ١٩٧٠ .

البدة : جمع بد ، اي بيت فيه أصنام وتصاوير . ايضا الصنم نفسه .

البراني : جمع برنية ، وهي إناء من خزف .

البراهمة : كهنة الهندوس ، وسدنة بيوت أصنامهم الوافرة الموارد . وتضم معابدهم وأديرتهم كثيرا من التماثيل المصنوعة من الخشب أو النحاس أو المنحوتة من حجر . ولهم اعياد واحتفالات تضاء فيها الشموع وقناديل الزيت ، وتفرع فيها الأجراس . وهم يتمنطقون بالحبل المقدس المجدول ثلاثة أطواق ، ويتزوجون امرأة واحدة في حياتهم .

البسذ : بالذال . نوع من الجواهر ، يقول المقريزي إنه أصل المرجان ، ومنه الأبيض والأحمر والأسود .

البشان : وحيد القرن .

البغبور : أو المغبور . كلمة فارسية تعني ابن السماء ، على ما ذكر في اخبار الصين والهند ، وهي ترجمة حرفية للقب امبراطور الصين .

البغلي : نوع من الدراهم .

بلاد الفلفل : هي المُلَيبار أو المَلِيْبَار . يقول ياقوت الحموي : «ومليبار اقليم كبير عظيم ، يشتمل على مدن كثيرة ، منها فاكنور ومنجرور ودهلي . يجلب منها الفلفل الى جميع الدنيا»[1] .

ويقول ابو الفداء : «والمليبار هي بلاد الفلفل . . والكولم آخر المليبار واخر بلاد الفلفل»[2] .

ويقول ابو بطولة : «وبعد ثلاثة ايام ، وصلنا الى بلاد المليبار ، بضم الميم وفتح اللام وسكون الياء آخر الحروف وفتح الباء الموحدة وألف وراء ، وهي بلاد الفلفل»[3] .

بلهرا : لقب هندي مأخوذ من Vallabha Raja ومعناه الملك المحبوب . وللادريسي رأي آخر اذ يقول : «وتفسير بلهرا ملك الملوك . اذا صار المُلْك لملك منهم ، تَسمَّى باسم الملك الذي كان قبله»[4] . ويقول في مكان آخر ان شرط تلقيب الملك بملك الملوك أن يكون لديه مائة امرأة والف فيل .

بمذو : مدينة على حدود التبت لجأ اليها امبراطور الصين في أثناء ثورة يانشو عليه . وبقي فيها حتى استعاد عرشه بمساعدة ابن ملك التغزغز التركي .

---

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٦٤٩ .

(٢) تقويم البلدان ، ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

(٣) رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، ج ٤ ، ص ٧١ ومايليها .

(٤) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ٧ ، الإقليم الثاني ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ، طبعة نابولي رومة ، ١٩٧٠

البيكرجيون : قوم في الهند يعيشون عراة .

تايو : يظن أنها قرية القصار المقصود Hiou de - Tai Hou (سوفاجيه) .

ترة : توتر في العلاقات .

التغزغز : تحريف طوقز اوغز ، أي قبائل الغز التسع . ويسميهم الصينيون اويغور القبائل التسع .

التنلونج : صيغة تلنج القديمة المشتقة من تلنجة التي كانت تؤلف الهند الشرقية والجنوبية . والتلنج او المون هم سكان برما المنخفضة الاصليون أو المهاجرون اليها من الهند .

توسط : توسط السماء : بلغ أوج ارتفاعه فيها .

تيامن : ذهب الى اليمين او كان في هذه الجهة .

تيومه : المقصود جزيرة تيومن مقابل الساحل الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة ماليزية .

ثلاج : كلمة هندية معناها بركة أو مستنقع .

جادم : بوق طويل يسمع صوته من بعيد ، وصفه دقيق في اخبار الصين والهند . ويعني اسمه الصيني «انبوب الاشارات» ، وقد حرفه التبتيون الى «جياد ونغ» ، ومنه اشتق لفظ جادم في اللغة العربية .

جبال : صخور ناتئة او جزر في البحر .

الجترة : مظلة من ريش الطاووس .

الجربى : خنجر حاد جيد الصنع .

الجرز : قوم غزاة اصلهم من شمال الهند ، لهم فيما يبدو علاقة بالهياطلة أو الهون البيض ، أسسوا مملكة واسعة دامت من القرن السابع الى القرن العاشر وكانت بهيلمال عاصمتها . اعطوا اسمهم الى جوزرات (كجرات) . قاوموا الفتح الاسلامي ، فقيل لهم اعداء العرب .

جزيرة ابن كاوان : جزيرة مقابل ساحل فارس ، وهي القسم (سوفاجيه) . ويقول عنها الادريسي : وجزيرة ابن كاوان ، بينها وبين جزيرة كيش اثنان وخمسون ميلا ، وهو نصف مجرى . وجزيرة ابن كاوان مقدارها اثنان وخمسون ميلا في عرض تسعة أميال . واهلها شراة اباضية ، وفيها عمارة وزروع وغير ذلك .

جزيرة كله : انظر كلاه بار .

الجهاز : حمولة السفينة . السلع .

حامله النار : كلفه حملها على مشقة .

خانفو : اسم مدينة كانتون . حسب بيليو ، مأخوذ عن التسمية الصينية Kuang - fou ، التي تختصر كوانغ ـ تشيو ـ فو ، اي محافظة كوانغ تشيو . ويشك بعض الباحثين في هذا الاشتقاق ،

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لكنهم يسلمون بأن المقصود كانتون التي كانت تلعب دورا رئيسا في تجارة الهند البحرية في عهد سلالة تنغ . وكان يقطن فيها مائة الف عربي في حي الغرباء المفصول عن المدينة الصينية بنهر . ويتولى حاكم صيني السلطة في هذا الحي ، ويفض الخلافات بين سكانه حسب قانون بلدهم إذا كانوا من بلد واحد ، وحسب القوانين الصينية عندما ينتمون الى بلدان مختلفة . ويروي ابن بطوطة (١٣٠٣ ـ ١٣٧٧م) أن حي المسلمين كان متطورا في أيامه ويضم مسجداً وفندقاً وبازاراً ويخضع الى سلطة شيخ الإسلام . وقال عنها ابو الفداء (متوفى سنة ٧٣٢ م) نقلا عن ابن سعيد : وهي ـ خانفو ـ مذكورة في الكتب ، وموضعها على شرقي نهر خمدان . وقال عنها ابن خرداذبة : وهي المرقى الأكبر وفيها فواكه كثيرة والبقول والحنطة والشعير والأرز وقصب السكر .

خراب البصرة : تقع البصرة قرب موضع الابلة . وقامت الابلة ذاتها في موقع اوبولو الواردة في النقوش الاشورية والبابلية . وذكرت الابلة باسم ابولوغو في كتاب الطواف حول البحر الاحمر . وقال المسعودي ان الابلة مدخل ميناء البصرة . اذن قطاع البصرة قطاع تاريخي قديم العهد . اما البصرة ، فحديثة نسبيا . اذ بنيت في خلافة عمر بن الخطاب سنة اربع عشرة على الارجح (١٤هـ/٦٣٨م).

وجاء عنها في الروض المعطار انها في مستوى من الأرض لا جبال فيها . وبها وحولها انهار كثيرة منها نهر الابلة الذي تتوزع على جانبيه قصور وبساتين نخيل متصلة . ويؤثر مد البحر وجزره في جميع انهارها : فعندما يدخل المد في فوهاتها ، تتراجع مياهها وتصب في البساتين وتسقيها ، ومتى جزر البحر عادت الانهار جارية حسب عادتها .

وازدهرت البصرة في عهد العباسيين ، واصبحت هي والكوفة مركزي الدراسات اللغوية العالية . لكنها احرقت في اثناء ثورة الزنج سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م ، وخربها القرامطة سنة ٣١٢هـ/٩٢٣ م . واصابها الانحطاط منذ منتصف القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي .

الخشنامي : معنى هذا اللفظ «طيب الاسم» . فهل جاءت طيبة هذا الجبل من وجود الفضة فيه ؟ وليست هذه الظاهرة وهمية لأن الهولنديين عثروا في جزر الكوريل على جبل تعطي تربته فضة متى اذيبت بالنار .

خمدان : عاصمة الصين الكبرى ومقر البغبور .

الخوص : ورق النخل .

دارا الكبير : داريوس الثالث كودومان . انتصر عليه اسكندر ذو القرنين وقتله قواده .

الدخريص : من القميص أو الدرع : واحد الدخاريص ، وهو مايوصل به البدن ليوسعه .

اللفظ فارسي ، يقابله بالعربية البنيقة واللبنة والسبجة والسعيدة .

الدرا : لفظ فارسي معناه جرس .

الدرج : ماكتب عليه ولف مدروجا .

الدردور : يشرح الادريسي الدردور شرحاً وافياً ويقول عنه : «والدردور موضع يدور فيه الماء كالرحى دوراناً دائماً من غير فترة ولا سكون . فإذا سقط اليه مركب أو غيره لم يزل يدور حتى يتلف . وهذا الماء موضعه يكون في جنوب جزيرة ابن كاوان . . . . وعندها الدردور المذكور وهو مضيق على مقربة من جبلي كسير وعوير ، تسلكه السفن الصغار ولا تسلكه السفن الصينية . وهذان الجبلان غائران تحت الماء لايظهر منهما شيء والماء يكسر على أعلاهما ، والربانيون يعرفون مكانيهما فيجتنبونهما . وهذه الدردورات ثلاثة ، منها هذا الواحد ، والثاني بمقربة جزيرة قمار ، والدردور الثالث منها هو في آخر الصين» .

دهرم : ملك فيجوه في راي فران . وهذه وجهة نظر رفضها سائر الباحثين الذين يرجح بعضهم ، ومنهم مينورسكي ، ان المقصود دهرما بالا (٦٦٧ ـ ٨١٥ م) من بالا البنغال وبيهار واوريسا (سوفاجيه) .

الدهنج : حجر اخضر في لون الزبرجد (القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٢٦١) .

دواء الصينيات : البرنيق الصيني .

الديبجات : جزر لاكديف ومالديف معا على الأغلب في رأي الادريسي والبيروني والمسعودي وابن بطوطة . فالادريسي يقول عنها : «وجزائر الديبجات متصلة بعضها ببعض . وهي لا تحصى . وأكثرها خالية . واكبرها جزيرة انبوبة ، وهي عامرة وفيها خلق كثير يعمرونها ويعمرون ما حولها من كبار الجزائر . ولجميع هذه الجزائر رئيس يجمعهم ويذب عنهم ، ويحامي عليهم ، ويهادن على قدر طاقته . وزوجته تحكم بين الناس، وتكلمهم ولا تستر عنهم ، والرئيس زوجها حاضر ، لايتكلم فيما تأمر به من جميع أوامرها وتحكيم النساء عندهم سيرة دائمة لاينتقلون عنها . . . وهذه الملكة وزوجها سكناهم من هذه الجزائر المذكورة بجزيرة انبوبة .

وبضائع أهل جزائر الديبجات المذكورة الذبل . . . وهذه الجزائر المعروفة بجزائر الديبجات عامرة بالناس . ويزرع فيها النارجيل وقصب السكر . وتجاراتهم بالودع . وبين الجزيرة والأخرى مسير ستة أميال واكثر وأقل . . واهل هذه الجزائر اهل صناعات بالأيدي حذاق نبلاء . من ذلك انهم ينسجون القميص مفروغا بكميه وبنائقه وجيبه . وينشئون السفن من العيدان الصغار ويبنون البيوت المتنقلة . .»

ويقسمها البيروني الى ديوه كوزه أي جزر الودع ، وديوه كنبار (والكنبار سلك يصنع من

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الياف النارجيل ، وتربط به اخشاب السفن) . وديوه كنبار واردة في كتاب العجائب باسم ديوه الكستج . ولفظ كستج مرادف لكنبار . ويؤكد ابن بطوطة أن أهل الديبجات يصدرون الودع والكنبار .

ديفو : في الأصل ، لقب احد كبار المربين المشرفين على تثقيف الامبراطور ثم جرت العادة ان يحمله المفوضون الامبراطوريون الذين يراقبون الولاة او حكام المقاطعات وهو مستعمل بهذا المعنى في اخبار الصين والهند .

الذبل : عظم ظهر سلاحف كبيرة ، تصنع منه شتى الادوات .

الرامني: تتوالى الجزر تباعا من الشرق (اندونيسية) الى الغرب باتجاه الهند. ومنها جزيرة الرامني . وهذا الاسم تحريف لـ لامبري أو لمبوري ولامبري أو لمبوري مقاطعة قريبة من اتشه في طرف شمطرة الشمالي الغربي حسب يول . ونشر غروينفلدت حوليات صينية ، ايدت وجهة نظر يول ، جاء فيها ما يلي : «تقع بلاد لمبري غربي شمطرة ، على مسافة ثلاثة ايام منها بريح طيبة . . ويحدها شرقا الليتاي (البتك) ، والبحر من الغرب والشمال ، ومن الجنوب جبال عالية وراءها البحر . . ويقع البحر ايضا الى جنوب غرب بلاد لامبري ، وفيه على بعد نصف يوم ، جبل مستو يسمى جزيرة القبعة التي يمتد المحيط الكبير المسمى محيط لامبري الى غربها وتعتبر السفن القادمة من الشرق هذه الجزيرة علامة لها. يستدل من هذا الوصف ان الرامني او لامبري كانت تقع على ساحل شمطرة الشمالي ، على مقربة من موقع مدينة اتشه . ويرى غروينفلدت ان جزيرة القبعة هي جزيرة فولويراس التي ماتزال تعد اشارة من اشارات السفن في تلك الارجاء . ويطلق العرب اسم رامني على جزيرة شمطرة بأجمعها أحياناً (مرسيل ديفيك ترجمة عجائب الهند ، وسوفاجيه) .

رزق : مايعطى للعسكريين في اثناء وجودهم في الجيش من مال أو سواه .

الرهون : كلمة سانسكريتية معربة ، تدل على ما يسمى اليوم جبل قمة آدم .

الزابج : جزيرة جاوة قطعا . لكن لايعني هذا البت ان الجغرافيين العرب كانوا يقصدون جاوة على الدوام عندما يتحدثون عن «جزر الزابج» ، لأن كلامهم عن تلك الأصقاع في الشرق الأقصى يتخلله احيانا الابهام والالتباس . مع ذلك تثبت استشهادات عديدة ان الزابج هي جاوة . منها رحلة ابي طاهر البغدادي الى الزابج وزيارته فيها مدينة رقاوند (الصحيح مزفاويد بعد ازالة التصحيف) . لكن مزفاويد هذه احدى مدن جاوه . ومنها تعداد سلع جاوة وفيها العنبر المشهورة به جزيرة الزابج . ومنها اخيرا وجود جبل النار قرب الزابج .

زواريق : جمع زورق أي المركب الصغير .

الساخ : هذه هي المرة الاولى التي يشير فيها مصنف اجنبي الى شرب الشاي في الصين. واذا

استثنينا البيروني ، لم يرد هذا الخبر في القرون الوسطى ، لا عند المؤلفين العرب ولا عند الرحالة الاوروبيين ، مع أن شرب الشاي معروف منذ القرن الثالث الميلادي في المقاطعات الجنوبية من الصين حسب بيليو . ثم نشر الكهنة البوذيون هذه العادة في الشمال منذ سنة ٧٨٣ م/١٦٧ هـ ، واحتكرته الحكومة الصينية حوالي ٨٣٠ م/١١٦ هـ . ويعود ما يقال عن الشاي في أخبار الصين والهند الى الفترة الواقعة بين ٨٣٠ م/٢١٦ هـ و ٨٥٠ م/٢٣٦ هـ . أما الإسم العربي ساخ في المخطوطة ، فغريب ولا بد أنه تصحيف ، لأن اسم الشاي كان يلفظ «جاي» آنذاك .

السدنة : جمع سادن : خادم الكعبة وبيت الأصنام . والمقصود هنا خدام المعابد أو الهياكل الوثنية .

سريزة: يعتمد فان درليث في كتابه عجائب الهند ، على كتاب عجائب المسعودي . فيحدد موقع سربزه على طرف جزيرة لامري اي شمطرة الجنوبية الشرقية ، على طريق عمان ـ الصين ، ويجعلها على نهر يحمل اسمها تنطبق اوصافه على نهر موزي ، اعظم انهار شمطرة (نهربالمبنغ)، ويذكر ان اهلها يسكنون بيوتا خشبية مبنية على اطواف تطفو على وجه الماء . ويتحدث كثير من الجغرافيين العرب عن سربزة كياقوت وابي الفدا والادريسي ، لكن بأقوال متضاربة ، ويسمونها أحياناً سريرة خطأ . وكانت في القرن الثالث عشر مركزاً تجارياً هاماً يصدر الكافور .

سرنديب : أحد أسماء جزيرة سيلان ، اشتقاقه من سنغالا ديب وسرنديب = ساران + ديب ، وساران = سنهالا ، ومنها جاءت تسمية سيلان ، التي شاعت في القرن ١٣ ميلادي ، واشتقت في رأي بعض الباحثين ، من لفظ سنهالا أو سيهالا ، ومعناه عرين الأسود . ومن هنا سميت أيضاً سيهالا دفيبا . ويعيد باحثون آخرون اشتقاق لفظ سيلان في اللغة الجاوية ، من كلمة سيلا التي تعني حجرا كريما ، بالتالي يصبح معنى تعبير بولوسيلان جزيرة الحجارة الكريمة . وتسمى سيلان باللغة الماليزية باتو سيلان اي جزيرة الحجر . أما اسم سيلان الأقدم ، فهو رتنادفيبا أي جزيرة الجواهر أو كما عرفت عند بعض العرب جزيرة الياقوت . (في القرن التاسع الميلادي) . ويسميها اليونان تابروبان . ويصفها الادريسي على الوجه التالي : «ومن الجزاير المشهورة في هذا البحر المسمى هركند ، جزيرة سرنديب . وهي جزيرة كبيرة مشهورة الذكر . . وفيها الجبل الذي هبط عليه آدم . وعلى هذا الجبل وحوله توجد انواع اليواقيت كلها ، وأنواع من الأحجار وغيرها . وفي واديه الماس الذي يحاول به نقش الفصوص من انواع الحجارة . وعلى هذا الجبل ايضاً أنواع من الطيب وضروب من صنوف العطر مثل العود والأفاوية ودابة المسك ودابة الزبادة . وبها الأرز والنارجيل وقصب السكر . وفي أنهارها يوجد جيد البلور وكبيره . وبجميع سواحلها مغائص اللؤلؤ النفيس » .

السريّ : السيد الشريف السخي .

السفن الصينية : وصفت السفن الصينية بأنها كبيرة في أخبار الصين والهند ، لكن لم تعط تفاصيل عن مقاييسها . ونستطيع ان نأخذ فكرة صحيحة عن احجامها من كتاب ماهوان ، وعنوانه الوصف الشامل لسواحل المحيط (١٤٣٣ م) . فهذا المؤلف الصيني يتحدث عن سبع حملات صينية على سواحل بحر الهند ، ويحدد عدد قطع أساطيل ست منها وأبعادها :

الحملة الأولى : ٣٧٠ سفينة	الحملة الرابعة : ٦٣ سفينة
الحملة الثانية : ٢٤٥ سفينة	الحملة السادسة : ٤١ سفينة
الحملة الثالثة : ٤٨ سفينة	الحملة السابعة : ١٠٠ سفينة

وقد قيل أن أضخم سفينة طولها ٤٥٢ قدما ، وعرضها ١٨٣ قدما ، لكن يرجح الخبراء أن بناءها من خشب يفرض الّا يتجاوز طولها الأقصى ٣٠٠ قدم وعرضها الأقصى ١٥٠ قدما ، وحمولتها القصوى ٣١٠٠ طن ، يقابلها ٣٠٠ طن في الحد الأعظم لسفينة داغاما ، و ٤٠٠ طن في الحد الأعظم للسفينة الانكليزية ، و ٢٠٠ طن في الحد الأعظم للسفينة العربية ، علماً أن عدد الرجال في الحملة الواحدة يتراوح حوالى ٣٠٠٠٠ رجل . فإذا انتقلنا من القرن الخامس عشر الى القرن التاسع ، وحافظنا على نسب هذه المقارنة ، أدركنا أن السفينة الصينية أكبر بكثير من السفن الأخرى ، لذلك لاتستطيع أن تسلك الطرق البحرية الضعيفة العمق .

السفط : وعاء كالقفة أو الجوالق (العدل من صوف أو شعر) .

سقوطرا : جزيرة كبيرة تبعد ٢٥٠ ميلا عن رأس فرتك و ١٥٠ميلا عن راس التوابل (جردافون) . اسمها هندي سانسكريتي (دفيبا سوخاذارا) ، معناه جزيرة النعيم . حرّفه اليونان وجعلوه ذيوسكوريذو ، واحتفظ العرب بـ (سوخاذارا) وجعلوها سقطرة باملاءات عديدة ، وقيل أيضا أن قصة جلجاميش تدور حولها . وذكر الطواف أن أهلها خليط من العرب والهنود والتجار اليونان . وأن لديها الذبل والزنجفر الهندي . ووصفها العديد من الجغرافيين العرب ، منهم ابو الفدا والادريسي ، ووضعها أحمد بن ماجد بين الجزر العشر الكبار . ووصف الادريسي لها في نزهة المشتاق يلخص جميع ما يدور حولها من الاقوال . وقد جاء على الوجه التالي :و. . . جزيرة سقطرى التي ينسب الصبر اليها وبينها وبين الساحل مجريان بالريح الطيبة ، ويقابلها من بلاد اليمن مدينة مرباط وحاسك . . . واما جزيرة سقطرى ، فهي جزيرة واسعة القطر ، جليلة القدر ، بهية الأرض نامية الشجر ، واكثر نباتها شجر الصبر ، ولاصبر يفوق صبرها في الطيب كالذي يتخذ بحضرموت اليمن والشحر وغيرها . وهي كما قلناه تتصل من جهة الشمال والغرب ببلاد اليمن ، بل هي محسوبة منه ، ومنسوبة اليه . ويقابلها من جهة بلاد الزنج مدينة ملند ومنبسة . واكثر أهل مدينة سقطرى نصارى . والسبب في ذلك أن الاسكندر ، لمّا تغلب على

ملك فارس، وغزت أساطيله جزائر الهند، وقتل فور ملك الهند، وكان معلمه ارسطو طاليس قد أوصاه بطلب جزيرة الصبر ، فكان في بال الاسكندر ذلك من اجل وصية معلمه . فعند فراغه من اخذ جزائر الهند وتغلبه عليها وعلى ملوكها ، أخذ راجعا في بحر الهند الى جهة البحر العماني . وقد تغلب على تلك الجزائر الى أن وصل الى جزيرة سقطرى . فاعجبه منها طيب ثراها واعتدال هوائها فكتب الى معلمه بذلك . فلما وصل الخبر الى ارسطو طاليس كتب اليه يأمره بأن ينقل اهلها عنها ، ويستبدلهم باليونانيين ، ويوصيهم بحفظ شجرة الصبر وحياطتها لما في ذلك من جمل المنافع الطبية ، وانه لاتتم الايارجات الا به مع انتفاع جميع الامم بأخذه وتصريفه ، ولأنه في ذاته دواء جليل كثير المنافع . ففعل الاسكندر ذلك ، واخرج عنها جملة اهلها ، ونقل اليها قوما من اليونانيين ، وامرهم بحفظ شجرة الصبر والقيام بها ، وغراستها وادامة تنميتها ففعلوا ذلك . وكانوا في صيانة وجمع أموال إلى أن ظهر دين المسيح ، فآمنت الأمم ، فدخل اهل سقطرى في دين النصرانية . وبقايا ذرياتهم بها الى هذا الوقت مع سائر من يسكنها من غيرهم .

وأوراق شجر الصبر تجمع في شهر يوليه . ويستخرج لعابها ويطبخ في قدور النحاس وغيرها ، ويوضع في زقاق ، ويجفف في شهر اوغست بالشمس . ويباع منه بهذه الجزيرة قناطير ، فيتجهز به الى سائر بلاد الله في المشرق والمغرب . وصبرها ينسب اليها وبها يعرف » .

وقصة الاسكندر وهم وفتحه جزر الهند وسقطرة غير صحيح . والمسيحيون فيها كانوا بعاقبة تابعين للحبشة، ثم انقرضوا في القرن السادس عشر . وكانت سقطرة للمهرة في ايام احمد بن ماجد اذن تابعة لليمن . وما تزال .

سلاهط : كلمة ماليزية تعني المضيق . ومضيق ملاقة على وجه التخصيص . مهما يكن يقع هذا البحر ، بحر سلاهط ، شمالي جزيرة شمطرة ويغمر ساحلها هنالك ، ويسميه المسعودي بحر كله (سوفاجيه) .

سهوكة : رائحة كريهة .

السندروس : شجرة مشهورة بأرض الروم يتخذ من خشبها دهن ، هو دهن الصواني، يدهن به الأخشاب . (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، زكريا القزويني ، ص ٢٩٣) .

سيراف : أهم ميناء في الخليج العربي من القرن السابع الى القرن الثاني عشر الميلاديين اسمها الحالي الطاهري (٤٠′ ٢٧° عرض شمالي ، ١٢′ ٥٢° طول شرقي) . تقع على الساحل ، عند حضيض الجبال في منتصف الطريق بين بوشهر في الشمال الغربي وجزيرة قيس في الجنوب الشرقي . كانت غنية وقوية في القرن السابع يسافر منها الى الصين عن طريق مسقط .

استمر ازدهارها حتى القرن الثاني عشر .

تحدث عنها العديد من الجغرافيين العرب ، منهم الاصطخري (متوفى ٣٤٧ هـ /٩٥٧ م) . وابن حوقل (متوفى ٣٦٧ هـ /٩٧٧ م) والمقدسي البشاري (متوفى ٣٨٠ هـ /٦٦٠ م) ، والادريسي (متوفى ٥٧١هـ /١١٦٥ م) ، وياقوت الحموي (متوفى ٦٢٧ هـ /١٢٢٦ م) ، وابو الفداء (متوفى ٧٣٢ هـ/ ١٣٣١ م) . فالاصطخري يقول ان سيراف تضاهي شيراز بحجمها وازدهارها ، وأن بيوتها عدة طوابق مبنية من خشب الساج المستورد من بلاد الزنج . وكلام ابن حوقل قريب من وصف الاصطخري اذ يقول :

«... سيراف ، وهي الفرضة العظيمة لفارس . وهي مدينة جليلة ، وأبنيتها ساج ، وتتصل أبنيتها الى جبل يطل على البحر . وليس بها ماء يحمد ، ولا زرع ولا ضرع . وهي من أغفى بلدان فارس». (صورة الأرض: ص٥٤). والمقدسي البشاري أدق وأوسع في أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم حيث جاء :

«سيراف هي قصبة اردشير خرة . وكان اهلها ، حين عمارتها ، يفضلونها على البصرة ، لشدة عمارتها ، وحسن دورها ، وظرف جامعها ، ولباقة اسواقها ويسار أهلها وبعد صيتها . وكانت حينئذ دهليز الصين دون عمان ، وخزانة فارس وخراسان . وعلى الجملة مارأيت في الإسلام أعجب من دورها ولا أحسن . قد بنيت من خشب الساج والآجرّ ، شاهقة ، تشتري الدار الواحدة بفوق المائة الف درهم . ثم انها خفت ، لما ولي الديلم ، وانجلوا الى سواحل البحر ، وعمروا قصبة عمان . ثم جاءت زلزلة سنة ٦٦ أو ٦٧ هـ (٦٨٥ أو ٦٨٦ م) ، فقلقلتها ، وحركتها سبعة أيام ، حتى هرب الناس الى البحر ، وتهدم اكثر تلك الدور ، وتفطرت ، وصارت آية لمن تأملها وعبرة لمن اتعظ بها . وسألتهم ما الذي صنعتم حتى رفع الله حلمه عنكم . قالوا : كثر فينا الزنا وفشا فينا الربا . قلت : فهل اعتبرتم بما ارى . قالوا : لا . وحدثت عن نسائهم بشيء قبيح ورأيت أهل فارس ، مع كثرة فسقهم يضربون بهم الأمثال . وأخبرت أنهم قد أخذوا في العمارة . وقد بدت ترجع الى ماكانت عليه . وهي باب جهنم من شدة الحر . والماء يحمل إليها من البعد . ولهم قناة صغيرة عذيبية . وفواكههم قليلة موضوعة بين الجبل والبحر . وماحولها فأرض قفر بالقرب منها نخيلات». (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧) .

ويعطي الادريسي صورة حية عن سيراف وعن نشاطها البحري ، فيقول :«مدينة سيراف. هي على ساحل البحر الفارسي . وهي مدينة كبيرة ، وبها تجار مياسير ، وأهلها مولعون بكسب المال واستجلابه على أي وجه أمكن . وهم اكثر عباد الله تغربا وتجولاً في الآفاق ، حتى أن الرجل منهم يتجول العام والعشرين ، ولايرجع الى أهله ، ولا يكترث بمن خلفه . وسيراف فرضة فارس ومبانيها بالساج ، وأبنيتهم طبقات ، مشتبكة البناء ، كثيرة الأهل ، ولأهلها همم في

نفقات الأبنية وضروب التحسين والتحصين . وفواكههم ، ومياههم تصل إليهم من جبل مشرف عليهم يسمى جم . وهذا الجبل مطل على البحر ، وليس به زرع ولا ضرع وهي شديدة الحر جدا، ولها منبران» (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ص٤١٠ ـ٤١١).

وقد رآها ياقوت الحموي ، «وليس بها قوم الا الصعاليك ، ما أوجب لهم المقام بها الا حب الوطن» ، ويقول : «وقد رأيتها ، وبها آثار عمارة حسنة ، وجامع مليح على سواري ساج . وهي في لحف جبل عال جدا . وليس للمراكب فيها ميناء : فالمراكب ، اذا قدمت اليها كانت على خطر الى أن تقرب منها الى نحو من فرسخين ، الى موضع يسمى نابد ، هو خليج ضارب بين جبلين ، وهو ميناء جيد غاية . واذا حصلت المراكب فيه ، أمنت من جميع انواع الرياح . وبين سيراف والبصرة اذا طاب الهواء سبعة أيام . . . فمنذ عمر ابن عميرة جزيرة قيس صارت فرضة الهند واليها منقلب التجار، وخربت سيراف وغيرها» (معجم البلدان،ج٣، ص٢٩٤ ـ٢٩٥).

وبذا تتم صورة سيراف على حقيقتها من القرن الثالث الى القرن السابع الهجريين .

ولايمكن الاحتجاج بابي الفداء للقول بأنها نهضت بعد خرابها لأن أبا الفداء ينقل ما قرأه عنها ، ولايصف وضعها في أيامه .

سيلا : قيل ان سيلا كوريا . اشتق هذا الاسم من سلالة سيلا التي حكمت تلك البلاد من سنة ٦٦٩ الى سنة ٩١٨ م بعد ان كانت مقسمة الى ثلاث ممالك (سوفاجيه) . وقيل أيضاً أن جزر سيلا هي اليابان (يول/كاثاي، ج ١ ، ص ١٣١ وحاشية١) . والرأي الأول هو الصواب ، وعليه جمهور الباحثين .

الشحر : يضع الإدريسي أرض الشحر بين أرض حضرموت وبين بلاد عمان ، ويقول عنها : «ويتصل بارض حضرموت من جهة شرقيها أرض الشحر ، وبها قبائل مهرة، وهم عرب صرح . والإبل المنتجة عند هؤلاء العرب لا يعدل بها شيء في سرعة جريها . ومن غريب ماينسب إليها أنها تفهم الكلام ، وتعلم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه . ولها أسماء اذا دعيت بها ، جاءت وأجابت من غير تأخير ولا توانٍ في ذلك . وقصبة أرض مهرة تسمى الشحر . ولسان أهل مهرة مستعجم جدا ، لا يكاد يفهم . وهو اللسان الحميري القديم . وأكثر هذه الأرض قفر ، لايعمرها إلّا رواحل مهرة . وجل مكاسبهم الإبل والمعز . وجملة دوابهم التي في بلادهم تعتلف السمك المعروف بالوزق . يصاد في ذلك البحر من بلاد عمان ، وهو حوت صغير جدا ، يصاد ويشمس ، وتعلف به الدواب والإبل وأهل مهرة لا يعولون على غيره من الأطعمة . ومتى دخل أحدهم البلاد المجاورة لهم واكل شيئا من الحنطة ، وجد لذلك ألما ، وربما [illegible] . ويقال إن طول بلاد مهرة تسع مائة ميل وعرضها في جميع طولها من خمسة [illegible] سيلا الى خمسة عشر ميلا الى مادون ذلك . وهذه الأرض كلها رمل سيال ، والرياح

لاعبة به ، تنقله من مكان الى مكان . ومن آخر بلاد الشحر الى عدن ثلاث مائة ميل» (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥) .

ويتحدث دوارته بربوسه[1] ، المجلد الاول ، صفحة ٦٤ ـ ٦٦ ، عن الشحر ويقول عنها : «تقع مدينة الشحر المسلمة على الساحل ، وتتبع مملكة فرتك . وهي بلد كبير ، فيه العديد من التجارات ، لأن مسلمي كمباية وشيول ودابول وبادقله وملیبار ، يقصدونه بسفن محملة بثياب القطن النفيسة والخشنة المستعملة فيه على نطاق واسع ، وبالكثير من العقيق الاحمر المثقوب وأنواع الجواهر العادية ، والأرز ، والسكر ، والتوابل بأصنافها ، وشتى البضائع الاخرى . ويبيعون سلعهم بأسعار عالية من تجار الشحر الذين يحملونها الى عدن وسائر انحاء جزيرة العرب .

ويشتري التجار الهنود من الشحر باثمان بضائعهم خيولا ممتازة كبيرة وأصيلة ، تفضل خيول جزيرة هرمز . ويباع الرأس الواحد منها في الهند بخمسة الى ستة آلاف كروزودو ذهب (٦٠ غرام ـ الكروزودو) . ويشترون أيضا الكندر أو اللبان . وفي الشحر الكثير من القمح واللحم والتمر والعنب . ويقطن عرب متوحشون في داخل هذه البلاد .

وترسو في بربره وفي الشحر جميع السفن القادمة من الهند الى بحر القلزم في وقت متأخر لايسمح لها باجتياز باب المندب . كذلك تلتجيء الى الشحر السفن الخارجة من بحر القلزم في طريقها الى الهند ، عندما تجد أن الرياح معاكسة لها ، لأنها تستطيع أن تقلع منها الى كمباية وهكذا تصبح الشحر مكلأ عظيماً لعدد كبير من السفن التي تحمل لبانها الى جميع انحاء العالم. وفي الشحر أيضاً عنبر وزعفران حسب المسعودي .

شرع . بان وظهر

شرق . شرق الامر : اختلط

شنك . كلمة سانسكريتية تعني صدفة . يقصد بها هنا صدفة بحرية كبيرة كانت تستعمل لصنع الخلاخل وابواق الجيش والاحتفالات الدينية .

شهدانج . نوع من النبات

صحار . يقول مؤلف مصنف «حدود العالم من المشرق إلى المغرب» (تاريخه ٣٧٢ هـ /٩٨٢ م) المجهول عن صحار : «هي خزانة العالم أجمع . وتجارها أغنى من تجار أي مدينة أخرى في العالم . وتحمل إليها جميع سلع الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ثم تنقل منها إلى شتى

(١) خدم دوارته بربوسه في دوائر الحكومة البرتغالية في الهند من سنة ١٥٠٠ الى سنة ١٥١٧ م وتوفي في جزيرة مكتان في الفيليبين سنة ١٥٢١ . الف كتابه من مشاهدات عيانية ، وعاصر الأحداث . لذلك يتميز وصفه للشحر بالدقة والواقعية بصرف النظر عن هنات تافهة لاتحط من قيمة معطياته على وجه الإجمال .

الاماكن» . واعجب بها المقدسي البشاري (٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) ، فكتب عنها مايلي :

«صحار . هي قصبة عمان ، ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه . عامر آهل ، حسن ، طيب ، نزه ، ذو يسار وتجار ، وفواكه وخيرات . اسرى من زبيد وصنعاء ، اسواق عجيبة ، وبلدة ظريفة ممتدة على البحر ، دورهم من الآجرّ والساج شاهقة نفيسة . والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الاسواق . ولهم آبار عذبية ، وقناة حلوة . وهم في سعة من كل شيء . دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ، ومغوثة اليمن . قد غلب عليها الغرس . المصلى وسط النخيل ، ومسجد صحار على نصف فرسخ» (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٩٢) . ويشير الادريسي (٥٧١ هـ / ١١٦٥ م) إلى ازدهارها في الماضي وإلى انحطاطها في ايامه فيقول : «ومدينة صحار على ضفة البحر الفارسي . وهي اقدم مدن عمان ، واكثرها اموالاً قديماً وحديثاً ، ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم . وإليها يجلب جميع بضائع اليمن . ويتجهز منها بانواع التجارات . وأحوال أهلها واسعة ، ومتاجرهم مريحة ، وبها نخل كثير ومن الفواكه الموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار العجيبة الطيبة . وكان في القديم من الزمان تسافر منها مراكب الصين ، فانقطع ذلك» (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ١٥٦) .

الصمر (الثياب) . تصنع المذاب من الحرير أو ريش الطاووس أو شعر ذنب اليالك (القطاس) أو القطن . ويمكن اعتبار صمر كلمة سانسكريتية معناها مذاب ، فيصبح (سوفاجيه) معنى التعبير أقمشة المذاب . ويجوز أيضاً أن تكون صمر تصحيف صيمور أي شيول المشهورة بأقمشة القطن وتعاملها بها مع الشحر .

صنخي . الصين (عجائب الهند ، ص ٢٢٠ ، حسب فان درليث وكورديه) .

صندل . شجرة هندية . والصندل نوعان أحمر وأبيض . والاحمر رخو الخشب وطيب الرائحة (المقريزي ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٢٩٤) .

صنف . تشمبا التي كانت مملكتها تمتد بين البحر والجبل على طول الساحل الشرقي من الهند الصينية .

صنف فولاو . يرجع سوفاجيه إلى النصوص الصينية ، ويعتبر أن صندر فولات تصحيف تشان بولاو أي جزير تشان (تشمبا) مقلوبة التركيب ، ومنها صنف فولاو . وهذه الجزيرة جبل علوه ٥١٨ متراً ، وفيها مراعي وماء عذب ، وتشاهد من بعيد في الصحو .

طاطرية (دراهم) . العملة المتداولة في مملكة الجرز حسب ابن رستة ، الذي يقول عنها :

«ومعاملتهم (مملكة الجرز) لهم (للعرب) بالذهب القطع ، والدراهم التي يقال لها الطاطري ، عليها تمثال صورة الملك ، وزنها مثقال» (الاعلاق النفسية ص ١٣٥) . مع ذلك

يظن سوفاجيه أن هذه الدراهم لارية .

الطاقي. كاشمير حسب سوفاجيه

طـوجي . لقب محافظ المدينة

طوقام . رئيس الخصيان حسب تركيب الكلمة اللغوي : طو- رئيس ، قام - خصي

عجّل . دفع نقداً ومباشرة

العطاء . مخصصات فرد من أفراد الجيش كالراتب وما شابه .

عطار . بائع الاطياب وما إليها

العفو . ما يفضل عن النفقة ولا عسر على صاحبه إن أعطاه .

عقاب . جمع عقبة ، أي المرقى الصعب

عمان . يحدد الادريسي امتداد عمان على ساحلي بحر العرب والخليج العربي ، ويقول: «ويتصل بأرض المهرة (اي ارض الشحر) بلاد عمان وهي مجاورة لها في جهة الشمال . . . ويتصل بارض عمان من جهة الغرب مع الشمال أرض اليمامة وهي بلاد زرقاء اليمامة . ويستأنف حديثه عنها على الوجه التالي: وبلاد عمان مستقلة بذاتها ، عامرة بأهلها ، وهي كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك . ومن بلاد عمان مدينتا صور وقلهات . . . وهي بالجملة بلاد حارة . . . وبين نجد وبلاد عمان براري متصلة». ويصف باختصار مدن مسقط وصحار وسمال والعقر ونزوة ومنح وسر وجلفار وبثرون» (نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ١٥٤ - ١٥٩) . وجاء في صورة أرض ابن حوقل ما يلي عن عمان : «وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة بأهلها ، فسحة ، كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك . وقصبتها صحار ، وهي على البحر ، وبها من التجار والتجارة ما لا يحصى كثرة ، وهي أعمر مدينة بعمان ، وأكثرها مالاً . ولا يكاد يعرف على شط بحر فارس بجميع الاسلام مدينة أكثر عمارة ومالاً من صحار . ولها مدن كثيرة ويقال أن حدود أعمالها ثلاثماية فرسخ . . . وعمان بلاد حارة وجرومية» . (ص ٤٤ - ٤٥) . وتحدث المقدسي البشاري عن عمان بصورة اجمالية جداً ، فقال : «وأما عمان فقصبتها صحار ، ومدنها نزوة ، السر ، ضنك ، حفيت ، دبا ، سلوت ، جلفار ، سمد ، لسبا ، ملح» (ص ٧٠ - ٧١) ثم يعطي تفاصيل عن صحار (ص ٩٢) ، وينتقل إلى لمحة موجزة عن باقي المدن : بركت ، نزوة ، السر ، ضنك ، حفيت ، سلوت ، دبا ، جلفار ، ملح ، ويزيد عليها برنم والقلعة وضنكان والمسقط وتوام ، ويختم بمايلي : «وعمان كورة جليلة ، تكون ثمانين فرسخاً في مثلها ، كلها نخيل وبساتين ، عامة سقياهم من آبار قريبة ينزحها البقر ، أكثرها في الجبال . وأهل هذه المدن التي ذكرنا عرب شراة» (أحسن التقاسيم ، ص ٩٢ - ٩٣) .

عنقنوس . نوع من السمك المفترس في بحر لاوري . يسميه الادريسي العنقريس (ص ٦٥)

العود . نوع من الطيب يتبخر به ، ويسمى أحياناً المندل أو المندلي نسبة إلى بلد في الهند واللفظ ترجمة عن اللغة الماليزية (كايو) .

عوير وكسير . جبلان (جزيرتان غامرتان) في مدخل الخليج العربي ، غائران تحت الماء ، لا يظهر منهما شيء ، والماء يكسر اعلاهما . والربانيون يعرفون مكانيهما فيجتنبونهما» (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ص ١٦٤) .

غب . الغب الجون ، ومصب النهر العريض . واغباب سرنديب «اجوان تقع فيها الانهار ، وتدخلها المراكب السيارة ، وتمر فيها الشهر والشهرين بين غياض ورياض وهواء معتدل» (نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ٧٤) .

الغضارة . الصحفة المتخذة من الغضار وهو نوع من الطين المستعمل في صنع الخزف .

الفرق . في الاصل جماعة النحل . هنا جزر متجمعة مثل خشرم النحل .

الفكوج . الف فلس من عملة الصين النحاسية تساوي ديناراً ذهباً واحداً .

فلج : فاز على خصمه

الفلس . جمعة فلوس : عملة الصين المسكوكة من النحاس والمثقوبة . كل الف فلس منها مجموعة في خيط واحد وتساوي مثقالاً ذهباً أو ديناراً وزنه أربعة غرامات ذهب وربع غرام .

فنصور . هكذا جاءت التسمية في كتاب حدود العالم وفي تقويم البلدان ، خلافاً للتسميات الصينية :

ين ـ سو ، يان ـ تسو ، يان ـ تسو ـ أول . وهي مقاطعة على ساحل جزيرة شمطرة الجنوبي .

الفوطة . قماش يتمنطقون به دون أن يفصل لباسا .

قامرون . جاء في تقويم البلدان (ص ٣٦١) : «وجبال قامرون حجاز بين الهند والصين . وجبال قامرون المذكورة هي معدن العود» . المقصود أسام .

القلانس . جمع قلنسوة . وهي نوع من ملابس الرأس ، له أشكال عديدة .

القلب . القلب من الجيش وسطه

القلس . حبل ضخم يستعمل في السفن

القمار . خمير أو كمبوديه

قنوج . مدينة واقعة بين ذراعين من نهر كنك (الغانج) (تقويم البلدان ، ص ٣٦١) . قال عنها الادريسي أنها «مدينة كبيرة حسنة كثيرة التجارات ، وبها يسمى الملك المسمى القنوج» (نزهة المشتاق في اختراق الافاق ، ص ١٩٣) .

قيرمان . جمعها قهارمة . امناء الملك وخاصته ، كالخازن والوكيل . اللفظ فارسي .

الكافور . شجرة كبيرة هندية . . . . وهي سفحية بحرية خشبها ابيض هش خفيف ، صمغها كافور ، ويسيل من أسفل الشجرة . قال محمد بن زكريا : الكافور صمغ هذه الشجرة ، إلا أنه في داخلها يثقب أعلى الشجرة ، فيسيل منه الكافور عند الحرارة ، ويثقب أسفل من ذلك ، فيخرج قطع الكافور .

الكستج . الودع كعملة

كلاه بار . هي كله ذاتها (فان درليث وكورديه ، العجائب ، ص ٢٥٨) . وكله أو كلاه بندر قديم هام في شبه جزيرة ملاقة لم يبق له أثر ، تتحدث عنه المصادر الصينية والعربية خاصة ابن خرداذبه ، وابن الفقيه ، والمسعودي ، والادريسي ، وياقوت ، والدمشقي ، والقزويني ، وابا الفداء وابن الوردي وابن سعيد . ومما قاله عنها الادريسي : «وهي جزيرة كبيرة يسكنها ملك يسمى حيابة الهندي . وبهذه الجزيرة معدن الرصاص القلعي . وهو بها كثير ، صافي الجوهر ، والتجار يغشونه بعد خروجه عنها . ومنها يتجهز به إلى جميع الارض . ولباس أهلها الفوط ، يلبس الرجل والمرأة فوطة واحدة . وبهذه الجزيرة منابت الخيرزان وبها الكافور الجيد . . .». (نزهة المشتاق في اختراق الافاق . ص ٨٠) .

كمكم . كنكانا بالسانسكريتية ، وهي الساحل الممتد من منبيه إلى جوه سندابور . اشتهرت بخشب الساج الذي كان العرب يحملونه بكميات هائلة إلى جزيرة العرب والعراق .

كندرنج . باندرونجة حسب فران . كانت في القرن التاسع عاصمة سلطنة تابعة لمملكة الصنف ، ويحكمها نائب ملك .

كواشح . جمع كاشح : العدو الباطن العداوة كأنه يطويها في كشحه .

كولم ملي . كولم مليبار . كولم باختصار : كيلون الحديثة . ذكرها ابن الفقيه (مختصر كتاب البلدان ، ص ١١ ـ ١٢) وياقوت الحموي (معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٥٥) ، والدمشقي نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ١٧٣) ، وابو الفداء (تقويم البلدان ص ١٧٣) وابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار ، ج ٤ ، ص ٩٩ ـ ١٠٠) ، اضافة إلى ابن خرداذبة والادريسي والقزويني .

الكوشان . قدير مطبوخ مع الارز والسمك . وهو أيضاً نوع من المرق

لاروى (بحر) . القسم الشمالي من بحر العرب الشمالي ، مقابل شبه جزيرة كاثياوار .

لبان . شجرة ذات شوك ، لا تنمو أكثر من ذراعين . وهي شجرة لا تنبت في الجبال . . . ورقها كورق الأس ، صمغها هو الكندر . يعقر مواضع منها بالفوؤس ، فيسيل منها الكندر ، ويقال له أيضاً اللبان . (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، ص ٣٠١) .

اللخم . بضم اللام . ضرب من سمك البحر يقال له القرش ، ويقال له الكوسج (لسان

کتابخانه و مرکز اطلاع رسانی
بنیاد دایرة المعارف اسلامی

العرب) .

لسان السحاب . يحيل سوفاجيه إلى لوبريدور في وصف هذا السحاب على الوجه التالي : «عندما يشاهد تشكل اعصار عمودي على مسافة قريبة ، يظهر مخروط مقلوب يتجه رأسه نحو البحر ، نازلاً من الغيوم الداكنة . وفي الوقت ذاته ، يرتفع مستوى البحر تحته .... ويندفع منه مخروط صغير يتصل بالمخروط العلوي . فتنشأ حركة دائرية في موضع صغير من وجه البحر من جراء تأثير قوة كهربائية أو زوبعة صاعدة . . وفي تلك الاثناء يتثر الجانب الاعظم من ماء الإعصار ذراتٍ دقيقةً إلى أقصى حد ، تشبه الدخان أو البخار ، محدثة ضجيجاً عظيماً .

ولا تتسم هذه الاعاصير بالخطورة التي يتصور بعض الناس انها تسكب عند انحلالها ما يكفي من الماء لاغراق السفن . أنا لا أوافق على هذا الرأي ، وأظن المركب الصغير وحده يترنّح ، إذا كانت أشرعته مرفوعة» .

لسان البر . شبه جزيرة كاثياوار .

لشك . اللشك . حسب الادريسي (ص ٣٦) دابة من دواب الليل مسلطة على السفنقور .

أما السمكة الصغيرة المسلطة على البال ، فتسمى اللشنك عند الادريسي (ص ٦٥) الذي يروي القصة ذاتها .

لقشي صامكون . لقب المدير الاداري الموثق . التسمية العربية مختصرة عن اللفظ الصيني المستعمل في عهد سلالة تنغ : لق ـ شي ـ تسام ـ جيون ـ شي

لكشمير. تعريب اللفظ السانسكريتي لكشميروه، ومعناه مدينة الآلهة لكشمي، حسب فران .

لنجبالوس . جزر نيكوبار

لنجون . تعريب لي ـ كي : حاكم المقاطعة .

المادبد . سوفاجيه يعتقد أن المقصود البد الاسفل أي التبت الشرقية

المتاع . كل ما يتنفع به الانسان ، ومنه معنى السلعة (لسان العرب) .

المثقال . أربعة غرامات ذهب وربع غرام

مخرمو الآذان. مثقوبو الآذان .

المخزومون . المثقوبو الانوف التي وضعت فيها خزامة أي حلقة شعر

مجهزة الاذناب . محذوفة الاذناب أي مقطوعتها ، لأن هذا كان شأن بغال البريد

المذاب . جمع مذبة ، وهي ما يدفع بها الذباب عن النفس

مراكب سيراف . سفن الخليج وبحر الهند المخروزة

مراكب الشام . سفن بحر الروم المسمرة

مرقا . مروراً سريعا
مسقط . وصفها دوراته بربوسة بانها مدينة كبيرة تصطاد السمك وتصدره إلى شتى البلدان . وساواها الادريسي قبله بصحار (ص ١٥٦) وعلل توقف تعاملها مع الصين هي وصحار ببروز دور جزيرة قيس (كيش) .
المسلحة . المرقب فيه جماعة مسلحون مكلفون بمهام رسمية خاصة كالدفاع أو استيفاء ضرائب مغاص اللؤلؤ . أماكن الغوص لصيد اللؤلؤ . أشهرها ما كان في الخليج العربي . أما حول سرنديب فقد فقدت أهميتها منذ أيام البيروني (متوفى سنة ٤٤٠ هـ /١٠٤٨ م) على حد قوله . مع ذلك تحدث عنها الادريسي (٥٧١ هـ /١١٦٥ م) بعد البيروني بقرن ونيف ، وقال عنها :
«وبجميع سواحلها مغائص اللؤلؤ الجيد النفيس الثمن (نزهة المشتاق ، ص ٧٣) .
وأشار إليه بليني الاكبر قديما (متوفى سنة ٧٦ م) .
مكنسة . لعلها شبيهة بكناس الظبي ؟ تضميناً للتستر . او مستحة؟
ملجان . قد تكون إحدى جزر اندمان أو نوجبي .
ملكا سرنديب . احدهما سرنديبي والآخر تاموليّ على الارجح ، مثلما كان الوضع في مطلع القرن السادس على حد قول كوزماس انديكوبلوست .
المنارة العظيمة . لا ينفث الحوت ماءا ، بل بخاراً يتكاثف ويمكن أن يرتفع ١٥ متراً (سوفاجيه) .
المند . العنبر النتن
المنصورة . ذكرها ابن حوقل (ص ٢٧٧) والمقدسي البشاري (ص ٤٧٩) والمسعودي (المروج ،ج ١، ١٨٩ - ١٩٠) ، ومعجم البلدان (ج ٥ ،ص ٢١١ - ٢١٢ نقلاً عن المسعودي والمهلبي) وأبي الفداء (ص٣٥١) . ومعلومات هؤلاء الجغرافيين عنها وارد معظمها عند الادريسي حيث يقول : «والمنصورة مدينة يحيط بها ذراع من نهر مهران ويبعد عنها وهي على معظم مهران من الجانب الغربي . . . ومقدار المنصورة في الطول نحو ميل في عرض ميل . وهي مدينة حارة بها نخل كثير وقصب سكر ، وليس لهم شيء من الفواكه إلا نوع من الثمر على قدر التفاح يسمونه الليمونة ، وهو حامض شديد الحموضة . ولهم فاكهة أخرى تشبه الخوخ وتقاربه بالطعم . ومدينة المنصورة محدثة بناها المنصور من بني العباس في صدر ولايته ، فنسبت إليه . . . والمنصورة مدينة كبيرة فيها بشر كثير وتجار مياسير وأموال ماشية ، وزروع وحدائق وبساتين ، وبناؤها باللبن والآجر والجص . وهي فرحة المساكن . ولأهلها نزاهات وأيام راحات . والتجار بها كثيرون ، والأسواق قائمة ، والأرزاق دارة ، وزيهم ولباس عامتهم زي العراقيين . وملوكهم يتشبهون بملوك الهند في لباس القراطق واسبال الشعور . ودراهمهم فضة

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ونحاس ، ووزن الدرهم عندهم خمسة دراهم ، وربما جلبت إليهم الدراهم الطاطرية فيتعاملون بها . ويصاد بهذه المدينة حوت كثير ، واللحم بها رخيص ، والفواكه مجلوبة إليها ، وبها أيضاً فواكه . واسم المنصورة بالسندية باميرمان». (نزهة المشتاق ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩) .

المهراج . لقب ملك الزابج

الموجه . هم الموتشا ، قوم مستقرون في يونان الصين أو ستشوان الجنوبية الغربية في عهد سلالة تنغ (سوفاجيه) .

المولتان . الاملاء الغالب ملتان . ذكرها ابن حوقل (ص ٢٢٧) والمقدسي البشاري (ص ٤٨٠) والمسعودي (ج ١ ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠) ، ومعجم البلدان (ج ٥ ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ، نقلاً عن الاصطخري) ، وأبو الفداء (٣٥١) . ومعلومات هؤلاء الجغرافيين عنها واردة معظمها عند الادريسي الذي يقول عنها : «ومدينة الملتان مجاورة لبلاد الهند . وهي مدينة نحو المنصورة في الكبر ، وبعض الناس يجعلها من بلاد الهند وتسمى فرج بيت الذهب . وبها صنم يعظمه أهل الهند ، ويحجون إليه من أقاصي بلدانها ، ويتصدقون عليه باموال جمة وحلي كثير ، وطيب ، وشيء يقصر الوصف عنه ، تعظيماً له ، واجلالاً . وله خدام وعباد يأوون إليه ، وينفقون ، ويلبسون من ماله المتصدق به عليه . وسميت الملتان باسم الصنم . . . (وصف الصنم) . . . وبيت هذا الصنم في وسط الملتان ، وباعمر سوق فيها . وهو قبة عظيمة مزخرفة منمقة ، قد اتقن بنيانها ، وشيدت عمدها ولونت صنعتها ، واوثقت أبوابها ، والصنم فيها . وحول القبة بيوت مبنية يسكنها خدام هذا الصنم ومن يعتكف عليه . وليس بالملتان من الهند والسند قوم يعبدون الاوثان إلا هؤلاء الذين في هذا القصر مع هذا الصنم . وغير ذلك من أهل الهند والسند إنما يحجون إليه تعظيماً له ولما عاينون من أمره» . . (نزهة المشتاق ، ص ١٧٦ ـ ١٧٧) .

الميج . كلمة فارسية معناها الجراد

الميسرة . جناح الجيش من جهة اليسار

الميمنة . جناح الجيش من جهة اليمين

النارجيل . هو الجوز الهندي

ناقوس . (يضربون بالنواقيس) . احداث الضجيج لابعاد الحيتان عادة قديمة ذكرت في رحلة نيارخس أمير البحر في جيش اسكندر ذي القرنين عند مروره في الخليج العربي .

نبغ . فشا الشر وظهر . النابغ الشرير .

نواخذة العرب . أصحاب السفن العربية الذين كانوا يسافرون إلى الصين وقتلوا في خانفو

النوافج . جمع نافجة وعاء المسك

النيالم (جزيرة) . بولونيحا باللغة الماليزية(جزيرة الرجال) مقابل الساحل الجنوبي في شمطرة

هرّاب . يبدو أنه جمع هارب
هركند (بحر) . خليج البنغال
يانشو . الثائر الصيني في عهد الامبراطور هي تسونغ ، واسمه الحقيقي هوانغ ـ شاو
اليسارة . المطر . إشارة إلى الأمطار الموسمية التي ترافق الرياح الموسمية .

المراجع والمصادر الرئيسة

اولا ـ المراجع والمصادر العربية

ابراهيم بن محمد الفارسي ، أبو اسحاق الاصطخري ، كتاب المسالك والممالك ، لايدن

احمد بن عمر ، ابو علي ، ابن رسته كتاب الاعلاق النفيسة ، لايدن ١٨٩١ .

احمد بن محمد بن اسحاق بن ابراهيم الهمذاني ، ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، لايدن ، ١٨٩١

اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء تقويم البلدان ، نص عربي ،م . رينو ومالك كوكين دي سلين ، باريس ١٨٤٠ .

اغناطيوس يوليانوفتش كرتشكوفسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ، مراجعة ايغور بليايف ، القاهرة ١٩٦٣ .

زكريا القزويني ، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، تحقيق فاروق سعد ، بيروت ١٩٨٨ .

عبيد الله احمد بن خرداذبة ، كتاب المسالك والممالك ، لايدن

علي بن الحسين بن علي ، ابو الحسن المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر بيروت ، ١٩٦٥

محمد بن احمد بن ابي بكر البناء، المقدسي البشاري/احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، بيروت ١٩٠٦

محمد بن حوقل البغدادي الموصلي كتاب صورة الارض ، لايدن

محمد بن محمد عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني ، أبو عبد الله الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، نابولي ـ رومة ، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ .

ياقوت الحموي . كتاب معجم البلدان ، ٥ مجلدات ، بيروت مكتبة صادر .

ثانياً ـ المراجع والمصادر الاجنبية

Barbosa, The Book of Duarte Barbosa. An account of the countries bordering on the Indian Ocean and their inhabitants, A.D 1618, Translated by Mansel Longworth Dames, WHS, XLIV, 2 parts London, 2nd edition, 1918, 1921.

Bowry, Th., A Geographical Account of the Countries Round the Bay of Bangal, 1669 to 1679, ed.Richard Carnac Temple, WHS, 2nd series, XII, Cambridge, 1903.

Cathay and the way thither, being a collection of Mediaval Notices of China, translated and edited by H.Yule, revised by H.Cordier, WHS, 4 vol.2nd series, XXIII, XXXVII, XXXVIII, XLI, 1915-1916.

Hobson - Jobson, A Glossary of colloquial anglo-indian words and phrases and of Kindred terms, etymological, historical, geaographical and discursive, by H. Yule and A.C. Bru nell, London, 1903.

Sirafi, Abu Zayd, Relations des voyages faits par les Arabes et les persans dans l'Inde et a la Chine (Silsilat at-tawā rih), the account of Sulayman the Merchant written in A.D.851 and completed by Abou Zayd Hasan towards A.D. 916, Arabic Text by Langlès (1811) with commentary and french translation by M. Reinaud, 2 vols., Paris, 1845.

Sulayman the Merchant, Relation de la Chine et de l'Inde, rédigée en 851, Arabic text, french translation and notes by Jean Sauvaget, Paris, 1948.

Défrémy C. and Sanguinetti, B.R., Voyages d'Ibn Battoutah, 4 vols, Paris, 1853-58.

The Periplus of the Erythraean Sea, by an unknown author, with some extracts from Agatharkhides on the Erythraean Sea, translated and edited by G.W.B. Huntingford, London, 1980.

Ma Huan, YING-YAI SHENG-LAN, the Overall Survey of the Ocean's Shores, 1433, translated from the chinese text, edited by Feng Ch'eng-Chin, with introduction notes and appendices by J.V.G.Mills, Cambridge, 1980.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی